الحصاد

AL-HASAD Issue No: 156 / September 2024 | العدد ١٥٧ / تشرين(١) ٢٠٢٤ | مجلة شهرية تُعنى بقضايا الوطن العربي والعالم

بتدبير صهيوني ـ أميركي لإغتياله
بثمانين طناً من القنابل
الخارقة للتحصينات

إستشهاد سيد المقاومة
حسن نصر الله

انقذوا لبنان
قبل أن تقسّمه الخلافات
وتدمّره الأزمات

الحصاد

AL-HASAD Issue No: 157 - October 2024 .العدد ١٥٧. تشرين(١) ٢٠٢٤

مجلة شهرية، تجعل من قضايا الوطن العربي والعالم محط اهتمامها، ماضياً، حاضراً ومستقبلاً

تصدر في لندن عن شركة Candour Communications Ltd.

رئيسة مجلس الإدارة ورئيسة التحرير:
إبتسام محمد سعيد أوجي

أعضاء مجلس الإدارة:
د. مازن الرمضاني
أمين الغفاري

المدير الفني:
حسين حمّود

ثمن النسخة :
٣ جنيهات سترلينية او ما يعادلها

الاشتراك السنوي :
٣٠ جنيهاً سترلينياً

مكتب بيروت
+٩٦١٤٥٥٥٩٠٠

لإعلاناتكم على صفحات «الحصاد»:
Telephone: 00 44 (0) 7444660507

"Al-Hasad" Head Office:
Lincoln House,
137-143 Hammersmith Road,
London W14 0QL (UK)
Telephone: 00 44 (0) 2076027055
00 44 (0) 7956229072
Fax: 00 44 (0) 2076035533
E-mail: info@alhasad.co.uk
Website: www.alhasad.co.uk

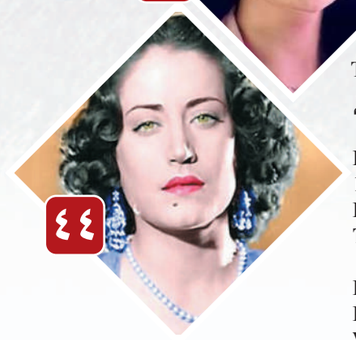

في هذا العدد

ص

موضوع الغلاف ٤
انقذوا لبنان الكبير قبل أن تقسمه الخلافات وتدمره الأزمات

قضايا إقتصادية ١٨
«حرب تجارية» عالمية على صناعة السيارات الكهربائية في الصين

مستقبلات ٢٠
دراسات المستقبلات ومقاربات الإنجاز (2)

قضايا أدبية ٢٤
إشكاليات الشعر والتعبير عن الواقع الجديد

مسرح ٣٨
مسرحية «ثورة» الجزائرية.. الإيقاع الطائش

كلمة «الحصاد»

الشهيد حسن نصر الله
في ذمة الله تعالى

(بسم الله الرحمن الرحيم، ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، الّا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون) صدق الله العظيم.

أن تخسر المقاومة زعيما قديراً مخلصاً لأمّته ولقضايا تحريرها من الأعداء، كالشهيد السيد حسن نصر الله (تغمده الله برحمته وأسكنه الجنة مع الشهداء والصالحين) والذي قضى اغلب عمره في نضال مستمر يقارع الاستعمار والصهاينة (سرّاق الأرض العربية فلسطين) ويفرض شروطاً لا رجعة فيها في معركة مساندة ونصرة فلسطين وأهلها ودفاعاً عن غزة والضفة الغربية وكامل التراب الفلسطيني، وبقيادته أُرغمَ الأمريكان والإسرائيليين على الإنسحاب مِنَ لبنان في سنة 2000 م وفي 2006م وتم إرغامهم على التخلي عن مخططاتهم في إحتلال لبنان وتجزأته لأقاليم طائفية، ولم يتوانَ وحزبه من إسناد غزةَ منذ بدء (طوفان الأقصى) مما جعله معادلة صعبة في نظر الأعداء، فهل حقاً انتصروا بإستشهاده يوم 28 أيلول؟ وهل ستتوقف مقارعة المعتدين وانتزاع الحق العربي الفلسطيني الإنساني منهم ومن حلفائهم من دول الاستعمار التي زرعتهم في أقدس البقاع العربية (فلسطين) أرض الأنبياء ومسرى رسول الله محمد (صلّى الله عليه وسلّم) وأولى القبلتين وثالث الحرمين؟.

لن تتوقف الأرض عن انجاب ابطال وقادة ومناضلين، هذه الارض التي إن ودّعت شَّهيداً انبتّت ألف مناضلٍ غيره وستُزهر الأرض وتنتشي بدماء شهدائها ومحبيها حتى يتحقق النصر الأكيد (ما ضاع حقٌ وراءه مطالب) ومن يطلب الحرية والكرامة يسترخص الثمنَ الغالي، وهل أغلى من دمِ الشهداء.

وللحرية الحمراء بابٌ بكلِّ يدٍ مضرّجةٍ يُدَقُ

سنفتقدك كثيراً يا (أبا هادي) ونذكرك كثيراً ولن يتوقف النضال من بعدك حتى النصر، وعسى أن يكون قريباً بإذن الله. ■

إبتسام

الحصاد

عزيزي القارئ

تفتح مجلة الحصاد ابوابها لأستقبال اجتهاداتكم وأرائكم واقتراحاتكم الفكرية والسياسية والأدبية وكذلك تعقيباتكم على الآراء التي تنشر على صفحاتها وإن كان ذلك يتطلب مراعاة الأعتبارات التالية:

- أن تكون لغة التحرير هي اللغة العربية التي تصدر بها المجلة وان يراعى في الكتابة الوضوح وسلامة النص.
- ان تتصف المقالات والدراسات بالموضوعية.
- يجوز للمجلة مراجعة الكاتب ان تضمن المقال بعض الأشارات الملتبسة أو التي لاتتفق وأهداف المجلة.
- ترحب المجلة بالحوارات الموضوعية والتعقيبات التي تنشر بها وكذلك بأي ردود فكرية او تصويب وهي فضلا عن ذلك ترحب بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات التي تعقد هنا او هناك.
- المقالات والدراسات المنشورة تعبر عن رأي اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

زوروا موقعنا على الرابط:
www.alhasad.co.uk

أحد محاور المقاومة الباسلة

انقذوا لبنان الكبير قبل أن تقسمه الخلافات وتدمره الأزمات

صفاء عزب: القاهرة

«إن لبنان لا يزال غارقًا في أزمة اجتماعية واقتصادية ومالية كبرى، تفاقمت بسبب الجمود المؤسسي والسياسي».. تصريحات على لسان جان كريستوف كاريه، المدير الإقليمي لدائرة الشرق الأوسط في البنك الدولي، تعكس الظروف الحرجة التي يمر بها لبنان والتي تزداد صعوبة مع ما تشهده الجبهة اللبنانية الإسرائيلية مؤخرا من تصعيد خطير واشتعال للأجواء يسوده استبسال فائق من المقاومة اللبنانية في اشتباكاتها مع جنود الاحتلال في مناطق الجنوب.

لاشك أن إرث الحروب والنزاعات الإقليمية يترك أعباء ثقيلة على كاهل اللبنانيين سيما في ظل الخصوصية التي يتمتع بها الشعب اللبناني، وقد تركت حرب غزة آثارا سلبية إضافية على حياتهم. وهو ما أكدته بعثة صندوق النقد الدولي في زيارتهم للبنان في شهر مايو الماضي حيث أفادت بأن التداعيات السلبية الناجمة عن الصراع في غزة، والقتال الدائر على الحدود الجنوبية للبنان، أدت إلى جانب الضغوط الناتجة عن أزمة اللاجئين، إلى تفاقم الوضع الاقتصادي والاجتماعي المتردي من البداية، في حين أن الآفاق الاقتصادية غير واضحة إلى حد كبير. وكأن قدر لبنان أن يعيش أهله في معاناة متجددة مرة بسبب مشكلاته الداخلية، ومرة أخرى لأنه يدفع ثمن الصراعات الإقليمية الناتجة عن الأطماع الصهيونية ومواجهتها والتصدي لها باعتباره على خط المواجهة مع إسرائيل وأحد محاور المقاومة الأساسية والرادعة في المنطقة.

على الرغم مما يعانيه لبنان من أزمات داخلية مستحكمة ومشكلات مزمنة أخطرها حالة الفراغ الرئاسي والتدهور الاقتصادي والفوضى الأمنية، إلا أن لبنان يعد أحد الجبهات الصامدة لمقاومة الاحتلال والتصدي له وقد نجحت هذه الجبهة في تشتيت العدو الإسرائيلي وتوجيه ضربات موجعة له وبث هاجس الخوف والرعب لديه من أية ردود أفعال للمقاومة تجاه أفعاله الإجرامية سواء بالشعب الفلسطيني أو بجنوب لبنان.

لقد بلغ إجمالي عدد الصواريخ التي أطلقت من لبنان باتجاه شمال إسرائيل منذ شهر فبراير 2024 وحتى نهاية أغسطس الماضي6611 صاروخا منها 1307 صواريخ خلال شهر أغسطس فقط بمعدل 40 صاروخا يوميا، وهو ما اعترفت به جهات تابعة للإعلام الصهيوني، في تصريحات تكشف عن حجم القلق والصداع الذي تسببه الجبهة اللبنانية للعدو الإسرائيلي وحجم المقاومة المستميتة والمستبسلة للرد على جرائم الاحتلال في الأراضي العربية سواء داخل فلسطين أو خارجها بما في ذلك الجنوب اللبناني.

ويدفع اللبنانيون أيضا ثمنا من أرواحهم لمقاومتهم الاحتلال الإسرائيلي، فمع استمرار قصفهم للجنوب اللبناني يسقط مئات الضحايا، وقد تجاوز عددهم بحسب الأمم المتحدة 564 شهيدا منهم 133 مدنيا منذ عملية طوفان الأقصى، وهي أعداد قابلة للزيادة في ظل استمرار الهجمات الإسرائيلية الوحشية على سكان جنوب لبنان بمن فيهم المدنيون، والطواقم الطبية. كما ارتفع عدد النازحين اللبنانيين إلى نحو 112 ألفًا، وتم تشريد الآلاف منهم بسبب الحرب. ولم يكتف العدو الصهيوني بهذه العمليات الإجرامية ضد البشر إنما امتدت جرائمه إلى البيئة التي يعيش فيها اللبنانيون، حيث كشفت تقارير دولية عن الكوارث التي حلت بالبيئة جراء استخدام الجيش الإسرائيلي صواريخ وقنابل محرمة دولياً أبرزها قنابل الفسفور الأبيض والتي تحدث تلوثا خطيرا في الهواء والمسطحات المائية والتربة.

سنة من الحرب.. والمقاومة

منذ الثامن من أكتوبر/ تشرين الأول 2023 تتبادل المقاومة اللبنانية، ممثلة في «حزب الله»، مع الجيش الإسرائيلي قصفا يوميا عبر «الخط الأزرق» الحدودي الفاصل؛ وذلك بهدف تحقيق المطالب الخاصة بإنهاء الحرب التي تشنها إسرائيل بدعم أمريكي على غزة منذ قرابة عام.

ونجحت قوات المقاومة في الجنوب اللبناني في شن عمليات عسكرية ضد الاحتلال الإسرائيلي ردا على جرائمه ضد الفلسطينيين في غزة، منها هجمات بمسيرات على مقر كتائب المدرعات في ثكنة راوية قرب الحدود، كما استهدفت مرابض المدفعية الإسرائيلية في الزاعورة بالجولان السوري المحتل، إلى جانب قصفها تحصينات وتجمعات للجنود الإسرائيليين في بركة ريشا والعاصي ومستوطنة نطوعة وكريات شمونة، وفي محيط ثكنة ميتات.

وفي المقابل تحمل لبنان توابع الهجمات الإسرائيلية العنيفة والوحشية ضده وما خلفته من خسائر كبيرة في الأرواح والمباني السكنية والبنى التحتية، خاصة خلال تلك العمليات النوعية التي قامت بها إسرائيل لتصفية رموز المقاومة ورجالها في الأراضي اللبنانية منها عملية اغتيال صالح العاروري نائب رئيس حركة حماس، وعضوي الحركة عزام الأقرع ومحمد الريس في بيروت مطلع العام الجاري قبل استهداف القائد العسكري فؤاد شكر بغارة اسرائيلية على مبنى في الضاحية الجنوبية لبيروت مؤخرا وذلك بعد ساعات من اغتيال إسماعيل هنية رئيس المكتب السياسي لحماس في طهران.

ولم تتورع إسرائيل عن القيام بالجرائم الانتقامية في لبنان باستهداف قوات اليونيفيل "قوات حفظ السلام" أكثر من مرة في تحدي سافر وغاشم لكافة القوانين والأعراف الدولية.

»

بتدبير صهيوني ـ أمريكي لاغتياله

بثمانين طنا من القنابل الخارقة للتحصينات:

إستشهاد سيد المقاومة حسن نصر الله بعد ضربه ب80 قنبلة مع عدد من القادة

الشهيد السيد حسن نصر الله

■ منيت المقاومة اللبنانية والعربية بخسارة فادحة باستشهاد سيد المقاومة حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله اللبناني وذلك في عملية خسيسة دبرها جنود الاحتلال الصهيوني بعلم ودعم من حليفتها الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت عملية الاغتيال قد استهدفت أيضا عددا من رموز المقاومة منهم علي كركي قائد المنطقة الجنوبية وسمير ديب وحسين سلامي قائد الحرس الثوري وإسماعيل قاني «فيلق اليرموق» ومحمد علي جعفري «فيلق القدس».

وكشفت تقارير إعلامية أن عملية الاغتيال تمت بهجوم للجيش الصهيوني على مقر حزب الله تحت الأرض في الضاحية الجنوبية بالعاصمة بيروت.

ونشرت مواقع صهيونية أن العملية تمت بعد إسقاط 80 قنبلة خارقة للتحصينات من نوع هايفي هايد MK84 تزن الواحدة طنا ولها القدرة على اختراق أعماق تصل إلى 70 مترا تحت الأرض.

على مدار سنة كاملة تسببت حرب غزة الوحشية في كوارث كبيرة تستمر آثارها لعقود طويلة على الشعب الفلسطيني، ولكن هناك شعوبا أخرى تأثرت حياتهم سلبيا بفعل هذه الحرب منهم الشعب اللبناني الذي لم يكن بحاجة إلى حرب جديدة لتعميق آلامه وجراح شعبه التي تنزف منذ سنوات وسط حالة مستحكمة من الغليان الداخلي والمعاناة المزمنة على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والأمنية، ولكن الظروف الإقليمية وأوضاع الحرب فرضت على المقاومة اللبنانية دورا مهما اعتادت القيام به في مثل هذه الأوقات الصعبة للتصدى للصلف الصهيوني ومواجهته. لقد ألقت الحرب بظلالها على لبنان في الوقت الذي يمر فيه بظروف صعبة واستثنائية وخطيرة بالنسبة لأي بلد فما بالنا بدولة ذات خصوصية طائفية تقع داخل الشرق الأوسط الساخن. ويأتي تكدس مطار بيروت بالمغادرين سواء اللبنانيين أو الأجانب، في ظل تحذيرات دولهم من البقاء في لبنان، تأكيدا على خطورة الوضع هناك وزيادة الخوف من لحظة الانفجار مع ارتفاع مستوى التصعيد بين المقاومة اللبنانية بقيادة حزب الله وبين حكومة الاحتلال الإسرائيلي ردا على العمليات الإجرامية التي استهدفت قادة المقاومة ورموزها.

ملفات ساخنة وأزمات مزمنة

إلى جانب التوتر الإقليمي المحيط بالدولة اللبنانية، هناك العديد من الملفات الساخنة التي تشعل الأجواء داخل لبنان طوال الوقت بسبب عدم حسمها يأتي في مقدمتها ملف الانتخابات الرئاسية الذي تعطل كثيرا وتعطلت معه حركة الحياة في البلد العاشق للحياة وأصابت الشعب المفعم بالنشاط والحيوية بالشلل نتيجة توابع الأزمة الاقتصادية وما أحدثته من أوضاع كارثية. و يقول المدير العام لوزارة الاقتصاد والتجارة في لبنان الدكتور محمد أبو حيدر، إنه بعد 4 سنوات من الأزمة، لم يتمكن لبنان من القيام بالاصلاحات المطلوبة منه، وهو ما يتسبب باستنزاف الدولة أكثر وأكثر، وكانت النتيجة هي حالة الجمود الحادثة اليوم والتي تؤدي إلى فقدان الثقة بلبنان، على حد قوله.

على الصعيد الاقتصادي كشف أحدث تقرير للمرصد الاقتصادي للبنان الصادر عن البنك الدولي، أن آثار وانعكاسات الصراع الدائر المتمركز في غزة تمثّل صدمة إضافية كبيرة لنموذجَ النمو الاقتصادي اللبناني غير المستقر. ويتصدر لبنان قائمة البلدان الأكثر تأثراً بالتضخم الاسمي لأسعار المواد الغذائية في الربع الأول من عام 2023 (بنسبة 350% على أساس سنوي في أبريل/نيسان 2023)، مما أدى إلى تفاقم هشاشة الظروف المعيشية للفئات الأشد فقرًا والأكثر احتياجاً من السكان. ولا يزال الدين السيادي الذي بلغ 179.2% من إجمالي الناتج المحلي في عام 2022 غير مستدام وسط انخفاضٍ حاد في قيمة العملة وانكماشٍ اقتصادي.

وفي نفس الوقت ارتفعت معدلات الفقر في لبنان إلى ثلاثة أضعاف وفق البنك الدولي ليشمل واحدا من كل 3 لبنانيين، في حين تواجه البلاد أزمة اقتصادية حادة منذ عام 2019 وتصعيدا في الجنوب. وكشف تقرير للبنك عن «زيادة كبيرة في معدل الفقر النقدي» من 12% عام 2012 إلى 44% عام 2022 .

وكانت وكالة "فيتش" للتصنيفات الائتمانية قد خفضت التصنيف الائتماني طويل الأجل بالعملة المحلية للبنان من مستوى CC إلى مستوى حالة التخلف عن الدفع المقيدة أو "RD" كما خفضت فيتش التصنيف الائتمائي قصير الأجل بالعملة المحلية في لبنان من C إلى حالة التخلف عن الدفع المقيدة RD أيضا.

منذ 2019 يعاني لبنان من أزمة خانقة مع إقفال المصارف لأبوابها وتوقفها عن إعطاء المودعين أموالهم، عبر فرضها قيود صارمة على السحوبات الدولارية، في وقت كان القطاع المصرفي اللبناني الركيزة الأساسية لاقتصاد البلاد. وانهارت العملة الوطنية وفقدت الليرة اللبنانية أكثر من 95% من قيمتها أمام الدولار، وهو ما صحبه ارتفاع غير مسبوق في مستويات التضخم حيث سجلت أسعار السلع الغذائية منذ ديسمبر 2019 وحتى عام 2023 ارتفاعا تجاوز 6000% وفقا لبيانات إدارة الإحصاء المركزي.

في ظل هذا الوضع تآكلت الاحتياطات الأجنبية في مصرف لبنان من 34.73 مليار دولار في منتصف أكتوبر 2019، إلى 8.7 مليار دولار في منتصف أكتوبر 2023، وهذا ما دفع بحاكم مصرف لبنان بالإنابة وسيم منصوري، إلى الإعلان وفور إستلامه قيادة المركزي اللبناني في أغسطس 2023، أن المصرف سيتوقف كلياً عن مد الدولة اللبنانية بالعملات الأجنبية، نظراً لندرة احتياطاته الشديدة.

كما يعتبر الفساد من أخطر الآفات التي تهدد لبنان ويعد من أشد الملفات سخونة بسبب استشرائه بصورة مخيفة مستغلا حالة الإنقسام الطائفي بالبلاد، والفراغ من حكومة فاعلة في ظل خلو منصب الرئيس. وعندما يصل الفساد إلى مستوى اتهام حاكم مصرف لبنان السابق رياض سلامة بتبييض الأموال وتمويل الإرهاب وممارسة أنشطة ساهمت في انهيار دولة القانون في لبنان، وفقا لما جاء في إشعار وزارة الخزانة الأمريكية على الانترنت، فإن الأمر يكون غاية في الخطورة.

أزمات سياسية ودستورية

ويعد حادث انفجار مرفأ بيروت الكارثي عام 2020 الذي انفجر فيه حوالي 2750 طن من نترات الأمونيوم في أحد مستودعات المرفأ وأدى إلى تدمير أجزاء من بيروت ومقتل أكثر من 200 شخص وإصابة أكثر من 6500 آخرين، يعد هذا الحادث منعطفا خطيرا آخر في طريق الأزمات اللبنانية خاصة وأنه ارتبط بحدوث تخبط في أوضاع العدالة والمحاسبة سيما بعد نجاح أطراف في تعطيل التحقيق المحلي منذ ديسمبر 2021 بحسب ما ذكره تقرير لهيومان رايتس ووتش الذي أشار أيضا إلى سلبيات سياسية خاصة ب"تقاعس" مجلس النواب مرارا عن انتخاب رئيس للجمهورية.

وهو ما يدعونا للتوقف عند الأزمة السياسية المزمنة التي يعيشها اللبنانيون بسبب الفراغ السياسي ومنصب رئيس الجمهورية الشاغر منذ انتهاء فترة ميشال عون في أكتوبر/ تشرين الأول 2022 وعدم تنفيذ الخطوة الخاصة بتنفيذ الاستحقاق الرئاسي. لقد عجز البرلمان اللبناني عن اختيار رئيس للبلاد، وفق دستور البلاد، للمرة الثانية عشرة مما يزيد من استحكام حالة الشلل التي تضرب البلاد على كافة الأصعدة. وبطبيعة الحال ساهمت حرب غزة واشتعال الجبهة اللبنانية الجنوبية في زيادة تعقيدات المشهد الداخلي في لبنان حيث تم تعليق كل المبادرات الساعية لإنهاء حالة الشغور الرئاسي.

وما يزيد من الأعباء على كاهل لبنان هو وجود حوالي 1,5 مليون لاجئ سوري هربوا من الحرب في بلدهم، بالإضافة إلى نحو ربع مليون لاجئ فلسطيني، جزء منهم يعيش منذ عقود في مخيمات.

ويثار الجدل بين مختلف القوى السياسية في لبنان حول الدور السياسي المنوط به حزب الله في الداخل اللبناني، حيث يرى مؤيدو الحزب وحلفاؤه جدارته واستحقاقه للعب دور مهم بحكم أهمية دوره في المقاومة بالجنوب اللبناني كرادع للاحتلال الإسرائيلي، بينما يرى معارضوه أنه جر لبنان إلى حرب هو ليس بحاجة إليها في ظل صعوبة الظروف التي يمر بها، وقد خلق هذا الخلاف حالة الشد والجذب المقاومة للوصول لحل بشأن الاستحقاق الرئاسي. وإلى جانب حالة الانسداد الداخلي في لبنان، تزداد المسألة تأزما مع انشغال شريكي لبنان الدوليين أمريكا وفرنسا بأوضاعهما الداخلية، فبينما يتركز الاهتمام الأمريكي على فعاليات الانتخابات والسباق الرئاسي المحموم بين هاريس وترامب، فإن ماكرون الراعي الفرنسي الأساسي للشأن اللبناني صار هو أيضا مهموما بشؤونه الداخلية بسبب ما أسفرت عنه انتخابات باريس من اكتساح مفاجئ لليسار بشكل مربك للإدارة الفرنسية.

هناك من يعول كثيرا على دور اللجنة الخماسية المكونة من مصر وقطر والمملكة السعودية ومعهم فرنسا وأمريكا للضغط على اللبنانيين لسرعة الانتهاء من خطوة الاستحقاق الرئاسي، ولكن يظل الحوار الداخلي والتوافق الإقليمي على الوضع في لبنان حجر الزاوية سيما في ظل خريطة لبنان الداخلية المعقدة، والتي جعلت لبنان ساحة للصراعات بدعم أو تدخل من أطراف خارجية متعارضة المصالح، مما زاد من حساسية الموقف وصعوبته ونال من استقرار لبنان.

منذ عام 1920 يعيش لبنان كبيرا موحدا متوافقاً مع مكوناته المتنوعة ومجتمعه الذي يشبه الفسيفساء في جمالها وتعايشها المشترك لولا الفترات التي تشهد تدخلات إقليمية أو دولية تضرب هذه الوحدة في مقتل. وفي الوقت الحالي يخشى كثير من اللبنانيين على لبنانهم الكبير بسبب التصدعات والشروخ التي أحدثتها الخلافات العميقة والمزمنة بين الفرقاء السياسيين، والتي لا تخلو من وجود أياد خارجية تحاول العبث في الاستقرار اللبناني، تحقيقا لمصالح أخرى.

وإذا كانت الطائفية قدر لبنان بحكم تنوعه، فإنه من الممكن تحويلها إلى قيمة إيجابية تضيف للمجتمع اللبناني ثراءا في الثقافة والفكر والإبداع الذي يصب في النهاية في مصلحة الوطن الذي يحتضن الجميع.

لذلك لابد من العودة إلى اتفاق الطائف الذي يتضمن العديد من البنود الكفيلة بتقييد الطائفية وتجاوز الخصومات السياسية، لولا تعطله عن العمل. كما يجب على الدول العربية أن تقدم الدعم اللازم لمساعدة لبنان على تجاوز محنته السياسية وأزمته الاقتصادية بإحياء مقومات الدولة وإعادة الإعمار والعمل على تحسين الأوضاع الاجتماعية هناك ورفع المعاناة عن كاهل الشعب.

وعلى المجتمع الدولي أن يقوم بدوره بإخلاص في العمل على وقف الحرب الإجرامية على غزة وجنوب لبنان وإجبار الاحتلال الصهيوني على التوقف عن استهداف المدنيين وقتل الأبرياء، وهي مسألة باتت ملحة وقد آن الأوان للضمير الإنساني في العالم الغربي الداعم لإسرائيل أن يتوقف عن ازدواجيته الظالمة وأن يتعامل مع القضية الفلسطينية بعدالة وإنصاف، ويقوم بواجبه في الضغط على حليفتهم المدللة بالشرق الأوسط لوقف الحرب، حتى تعود المنطقة للسلام ويستعيد لبنان الكبير ألقه المعهود.

لبنان على خريطة التوسع الاسرائيلية كيف سيواجه المتغيرات؟

الوزير منصور: لتوحيد الجبهة الداخلية وتحقيق الاصلاحات

غاصب المختار: بيروت

تتعدد القراءات والتحليلات والافكار والاقتراحات حول ما جرى منذ سنة في غزة بعد عملية"طوفان الاقصى" وما تلاها من فتح جبهات إسناد للمقاومة الفلسطينية من لبنان والعراق واليمن وطبعا من ايران. وبعد كل التطورات التي حصلت خلال الاشهر الماضية تبقى اسئلة مطروحة حول كيف سيواجه لبنان المرحلة المقبلة الاقليمية بعد توقف الحرب، وكيف سيتعاطى مع نتائجها سواء كانت ايجابية ام سلبية،؟ وما مستقبل الصراع العربي - الاسرائيلي في ظل سياسات اليمين الاسرائيلي المتطرفة؟ وهل من حلول مرتقبة؟

وفي هذا الحديث مع وزير خارجية لبنان الاسبق الدكتور عدنان منصور الخبير في شؤون المنطقة والمشرق بحكم وظيفته على مدى اربعين سنة متنقلا بين عواصم مهمة مثل بروكسل (الاتحاد الاوروبي) والقاهرة وطهران، قراءة في تأثيرات حرب غزة وتوابعها وماحققته المقاومة الفلسطينية والكيان الاسرائيلي وجبهات الاسناد خلالها، وما سيكون عليه المشهد المقبل بعد وقف الحرب، لا سيما انعكاس كل ذلك على وضع لبنان والمنطقة ككل. وما هو التقدير للسياسة الاميركية الجديدة في التعاطي مع اوضاع المنطقة والقضية الفلسطينية بعد انتخاب رئيس لأميركا في تشرين الثاني (نوفمبر المقبل).

● «الحصاد»: منذ عملية طوفان الاقصى وفتح جبهات الاسناد لغزة من لبنان والعراق واليمن وايران. برأيك ما هي التأثيرات الجيو - سياسية والعسكرية التي اصابت الكيان الاسرائيلي واي مستقبل ترى للكيان بعد ماجرى؟

○ د. عدنان منصور: بعد عملية طوفان الاقصى لم يعد الصراع العسكري محصورا بين الفلسطينيين ودولة الاحتلال لاسرائيلية، لا شك ان فتح الجبهات وإسناد المقاومة في غزة اربك اسرائيل واصابها في الصميم وشتّت الجيش الاسرائيلي على الجبهات. وهذا الواقع ترك تداعياته السلبية على الساحة الاسرائيلية إذ لم تعد تستفرد بجبهة عربية واحدة، انما ستلقى رداً من جبهات عربية تردع اي عدوان. وللمرة الاولى في تاريخ الصراع العربي - الاسرائيلي نجد جبهات عربية مفتوحة تشارك بالعمليات العسكرية الى جانب المقاومة الفلسطينية.

ومشاركة المقاومة في لبنان ضد العدو الاسرائيلي جعلته يُخلي عشرات القرى والمستعمرات على الحدود الشمالية لفلسطين المحتلة، ولأول مرة في تاريخ اسرائيل نجد أن اكثر من مئة الف مستوطن يتركون منازلهم والإتجاه جنوبا. وهذا أثرٌ من الآثار التي تركتها جبهة الإسناد لغزة من لبنان.

لا تبدّل بالسلوك الاسرائيلي

● «الحصاد»: هل تحقق التبدل في «الرأي العام الاسرائيلي» داخل الكيان لجهة تغيير العقيدة التلمودية والعنصرية ولجهة امكانية استمرار وجود هذا الكيان بالشكل الذي هو عليه ام تتوقع تغييراً ما؟

○ د. عدنان منصور: لا اتوقع تبدلاً او تغييراً في سلوك "الرأي العام الاسرائيلي" تجاه الفلسطينيين والعرب،على اعتبار ان هذا السلوك مشبع بعقيدة توراتية وتلمودية مبنية على الكراهية والعنصرية والتوسع ورفض الآخر. هناك موقف اسرائيلي واحد في الداخل يضم كافة الاطياف السياسية من دون استثناء الى جانب الموقف المتطرف لرجال الدين.

هذا الداخل الاسرائيلي لا يتقبل بأي شكل من الاشكال قيام دولة فلسطينية فيما هو يتطلع الى قيام «دولة اسرائيل الكبرى» الممتدة من النيل الى الفرات. اضافة الى ذلك لانجد حزباً اسرائيلياً واحداً منذ قيام الكيان طالب بإقامة دولتين فلسطينية واسرائيلة، الكل يجمع على رفض الدولة الفلسطينية بالشكل والاساس. ولعل ابرزهم بنيامين نتنياهو وهو الذي كتب في كتابه «مكان بين الامم» يقول فيه: «لن نقبل بدولة فلسطينة في الضفة الغربية ولن نقبل بدولة فلسطينية في اي مكان، وعلى العرب ان يتحملوا المسؤولية والسماح للفلسطينيين بالانتشار في العالم العربي».

الدولة العميقة والمتغيرات لبنانياً

● «الحصاد»: بالنسبة للبنان، كيف ترى مستقبل الاوضاع فيه بعد كل هذه المتغيرات الاقليمية وكيف يُفترض مواجهتها؟

○ د. عدنان منصور: لا يمكن فصل لبنان عمّا يتعلق بما يجري في منطقتة فهو جزء لا يتجزأ منها امناً وسلاماً واستقراراً، حيث ان اجزاءً من ارضه تقع تحت الاحتلال الاسرائيلي الذي يضع لبنان على خريطة التوسع الصهيونية "لإسرائيل الكبرى"، وبالتالي سيبقى لبنان في صراع مستمر معه طالما ان التهديد الاسرائيلي لا يتوقف حيال المنطقة كلها وطالما الاحتلال مستمر . لبنان وهويواجه المتغيرات الاقليمية لا بد له من ان يوحد جبهته الداخلية والقيام بعملية اصلاحات داخلية جذرية كي يتجاوز اوضاعه الاقتصادية والمالية والمعيشية والاجتماعية الصعبة. إذ ان تحصين الجبهة الداخلية اللبنانية يُعزّزمن قرار لبنان الداخلي والاقليمي، وايضاً وهو الأهم الوقوف بكل قوة وعزيمة في مواجهة العدوان الاسرائيلي والتهديد المستمر ضد لبنان.

● «الحصاد»: ماذا يمكن ان يتحقق من تغيير اوماهي امكانيات التغيير في لبنان؟

○ د. عدنان منصور: ان الدولة العميقة في لبنان التي تقودها طبقة من المستفيدين، لا يريدون لها مطلقاً إحداث اي تغيير وإصلاح، لذلك هم حريصون جداً على إبقاء الوضع على ما هوعليه، والإبقاء على النظام الطائفي بكل عيوبه وسلبياته وسيئاته، طالما انهم مستفيدون منه ويعمل لصالحهم.

● «الحصاد»: هل ما زال النظام السياسي الحالي القائم على الطائفية والمحاصصات قادراً على التكيف مع هذه المتغيرات في الاقليم ام مطلوب العمل على اقامة نظام اكثرمتانة وصلابة. وكيف؟

○ د. عدنان منصور: لا اتصور ان المتغيرات في المنطقة سيكون لها تأثير على الاوضاع الداخلية في لبنان، لجهة النظام السياسي الطائفي الحالي. ان التغيير في لبنان يخضع لتوافق الطوائف والقوى السياسية الفاعلة على الارض، ومادام هذا التوافق بعيداً عن التحقيق نظراً لعدم وجود نيّة لدى المسؤولين السياسيين بالاصلاح . وطالما ان نظام المحاصصات في ما بينهم يبعدهم عن القيام بأي اصلاح سياسي او اقتصادي اومالي.

الغرب لم يُغيّر سلوكه

● «الحصاد»: ايضاً تبدّلت او انقلبت رأسا على عقب اوضاع منطقة الشرق الاوسط، وتغيرت نظرة الرأي العام العالمي والغربي بشكل خاص للقضية الفلسطينة. كيف يمكن استثمار هذا التغيير في تحقيق مطالب الشعب الفلسطيني بإقامة دولته المستقلة؟

○ د. عدنان منصور: بعد طوفان الاقصى شهدت دول كثيرة في العالم تظاهرات ضد حرب الابادة والتطهير العرقي في غزة، لا سيما في دول اوروبا والولايات المتحدة وكندا وغيرها، وهذا التعاطف مع الفلسطينيين يحدث للمرة الاولى، لكن للاسف اذا كانت الدول الديموقراطية تأخذ بأراء شعوبها فإن الانظمة في بعض دول اوروبا مثل المانيا وبريطانيا وفرنسا وفي اميركا وكندا لم تُغيّر من سلوكها حيال ما يجري من مجازر في غزة. إذ لازالت هذا الانظمة حتى اللحظة تدعم كيان الاحتلال على كل المستويات.

● «الحصاد»: برأيكم الى اين تتجه اوضاع منطقة الشرق الاوسط. هل الى مزيد من الحروب ام يمكن تحقيق سلام واستقرار مستدام وكيف؟

○ د. عدنان منصور: منذ العام 1948 والمنطقة تشهد حروباً لاتتوقف، وعلى العالم ان يتساءل لماذا تتكرر هذه الحروب؟ وان يعلم ان السلام والاستقرار في المنطقة لن يتحققا ولن تنعم اسرائيل بالاستقرار، والسلام الذي تريده اسرائيل هوسلام قائم على الامر الواقع، وآن الاوان للدول الكبرى ان تدرك ان للشعب الفلسطيني الحق بأرضه واقامة دولته. ولا يمكن لأي دولة في العالم ان تختزل الشعب الفلسطيني الذي يُصرّ على مقاومته للإحتلال والعدوان ولن يستسلم مطلقاً ولن يرضخ للإحتلال، وحده السلام القائم على الحق والعدل يمكن ان يوفر الاستقرارللمنطقة وشعوبها. عدا ذلك ستستمر المقاومة في العمل والقتال لتحرير ارضها ولوكان الثمن باهظاً. فهذا قدر الفلسطينيين ان يستمروا في نضالهم من اجل استعادة ارضهم واقامة دولتهم المستقلة.

الوزير عدنان منصور

الصمت العربي شجع اسرائيل

● «الحصاد»: هل يمكن ان يترك هذا التغيير انعكاساً مؤثراً على الوضع العربي الرسمي والشعبي وكيف؟

○ د. عدنان منصور: للأسف الشديد لم يكن الموقف العربي بشكل عام على مستوى المسؤولية القومية بإستثناء دول قليلة وقفت الى جانب الفلسطينيين اثناء محنتهم واثناء مواجهة العدوان الاسرائيلي على ارضهم، إذ ان الاكثرية ظلت تشاهد المآساة من دون ان تقوم بماهو مطلوب منها من فرض عقوبات على اسرائيل او قطع العلاقات معها، اوتفعيل المقاطعة العربية اووقف التعاون معها، هذا الصمت شجع اسرائيل على الذهاب بعيداً في حربها على غزة والقيام بالجرائم ضد الانسانية التي ترتكبها بحق الشعب الفلسطيني في غزة والضفة الغربية.

وفي الوقت الذي سارت فيه تظاهرات في اوروبا واميركا، وجدنا ان انظمة عربية منعت شعوبها من القيام بتظاهرات ضد الحرب على غزة وجرائم اسرائيل فيها. الشعوب العربية لاشك انها شعوب اصيلة تنتمي الى قضايا امتها وتعرف ما لها وما عليها، إلّا ان بعض الانظمة وللأسف الشديد كانت غطاء لإسرائيل ولحربها على غزة.

اميركا وإيران وإعادة الحسابات

● «الحصاد»: هل تتوقع تغييرا في الموقف الاميركي بعد الانتخابات الرئاسية واي دوريمكن ان يكون لإيران في المنطقة بعد الانتخابات الرئاسية فيها؟

○ د. عدنان منصور: أيّاً كان الرئيس الذي سيحكم الولايات المتحدة فإن سياسة الانحياز الاميركي لإسرائيل ودعمها تظل من المواقف الثابتة لواشنطن. فالمُرشحَين للرئاسة دونالد ترامب وكامالا هاريس اعرب كلٌّ منهما عن دعمه لإسرائيل، والموقف الاميركي تجاه القضية الفلسطينية كان على الدوام موقفاً منحازاً لإسرائيل، ورافضاً وجود انظمة وطنية ذات سيادة وصاحبة قرار مستقل في المنطقة تتعارض مع المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة ومصالح اسرائيل وحلفائها.

اما بالنسبة لإيران فموقفها واضح تجاه المقاومة واسرائيل، وهذا الموقف لن يتغير أيّاً كان الرئيس الجديد للولايات المتحدة الاميركية، إذ أن لإيران ثوابتها تجاه القضية الفلسطينية والمقاومات في المنطقة وعدائها لإسرائيل، وايضاً في قرارها حول برنامجها النووي السلمي، والذي انسلخت عنه الولايات المتحدة وانقضت عليه في عهد الرئيس ترامب عام 2018 أي بعد مرور ثلاث سنوات على توقيع الاتفاق النووي من قبل «مجموعة 5+1».

اذاً على الولايات المتحدة، او من يحكمها اعادة حساباته واعادة النظر في مواقفها العدائية تجاه القضية الفلسطينية وتجاه اسرائيل هي الولايات المتحدة، وعليها ان تخطوخطوة في الاتجاه الصحيح قبل غيرها، وان تقوم بإجراءات سريعة لوقف الحرب على غزة ودعم حق تقرير المصير للفلسطينيين. إلّا ان الموقف الاميركي يظل منحازاً وطالما هومنحاز لجهة ضد اخرى فهوامر لا يُطمئن ولا يساعد على الوصول الى السلام الحقيقي والاستقرار والامن في الشرق الاوسط. فهناك قضية فلسطينية عادلة وهناك شعب فلسطيني له حقوقه في اقامة دولته، وعلى الولايات المتحدة ومعها الغرب ان تخطو الخطوة الايجابية لتحقيق تطلعات الشعب الفلسطيني.■

إبادة الفلسطيني «الأحمر»...!

أكرم عطاالله : فلسطين

يقول بنيامين نتنياهو " لم تتوفر الفرصة سابقاً لإحتلال قطاع غزة " هكذا يتضح مشروع اسرائيل قبل النهائي وقبل الإنتقال للضفة الغربية إذ يعتبر أن هناك فرصة توفرت في ظل تواطؤ العالم بالصمت تمكنه من إعادة احتلال القطاع الذي خرجت منه اسرائيل قبل تسعة عشر عاماً في ظل احتدام الصراع حينها داخل حزب الليكود الحاكم برئاسة شارون والذي لم يتمكن من الحصول على اجماع حزبه لخطة الإنسحاب من غزة لينشق عن حزبه مؤسساً حزب كاديما الذي أتم عملية الإنسحاب .

نتنياهو الذي كان قد هُزم في انتخابات عام 99 في مواجهة أيهود باراك مسلما قيادة الليكود لأرئيل شارون قاد جناح الصقور في الحزب في مواجهة تفكيك مستوطنات غزة وبعد انسحاب شارون من الحزب الذي يقوده عاد نتنياهو لزعامة الحزب ويبدو من تصريحاته أنه ظل أميناً لموقفه وظلت عينه على غزة بإنتظار الفرصة وهو ما أعلنه مطلع الشهر .

إذن المسالة تبدو في لحظة ما لا علاقة لها بالإنتقام من عملية السابع من أكتوبر التي قامت بها حركة حماس بالدخول للبلدات المجاورة للقطاع وأخذ عدد من الإسرائيليين كأسرى بل أن رئيس حكومة اسرائيل اليميني الذي ذهب أبعد من ذلك يعيد استخراج ملفات سياسية عقائدية من الدرج مستغلاً تعاطف العالم مع اسرائيل وموافقة هذا العالم على مشاريعه والسماح له بتنفيذها رغم فداحة الجرائم التي يرتكبها والتي نصت عليها كل الوثائق الدولية .

ما يجري في غزة ليس حرباً ، فالحرب لها نهاية ويبدو السلوك الإسرائيلي الرافض لأي نافذة أو فرصة لوقفها من خلال صفقة يعكس ما هو أبعد من ذلك فالمسألة التي اتضحت منذ الأسابيع بل الأيام الأولى للعدوان وحجم القتل والسحق والضربات لا تعكس حرباً كلاسيكية ولا حتى انتقامية بل حرب إبادة لتحقيق مشاريع سياسية توراتية في ظل حكم اليمين الديني المتطرف واستيلائه على مقاليد الامور في الدولة وبعد ضعف الجيش والقوى الأمنية بعد السابع من أكتوبر اثر الضربة التي تلقوها في هيبتهم ومكانتهم المعنوية .

إن تدمير ما يقارب من 80% من البيوت والمباني هو سحق لممكنات البقاء خاصة حين تترافق مع القضاء على المستشفيات والعيادات ودور الرعاية والطرق وشبكات الكهرباء والهواتف والجامعات جميعها والتي لا علاقة لها بالمقاومة وقواها بل أن بعضها كجامعة الأزهر تابعٌ لحركة فتح ومعظمها للقطاع الخاص وكذلك المدارس والمحلات التجارية والأفران ما يعني إبادة منطقة كاملة وقتل سكانها ودفع من يتبقى فيها للرحيل .

منذ البدايات احتلت اسرائيل شريط تستاريم المحاذي لوادي غزة الصغير الذي يقطع القطاع إلى نصفين شمالي وجنوبي وطلبت من سكان الشمال بالرحيل للجنوب وتبقى هناك من أصل مليون و300 ألف بقي وفقاً للتقديرات الإسرائيلية ثلاثمائة ألف وخلال الشهر الماضي يقدم الجنرال غيورا آيلاند خطة للحكومة الإسرائيلية والجيش تقضي بطرد من تبقى في الشمال وإعطائهم فرصة أسبوع للرحيل وبعدها يتم قطع الغذاء والماء والدواء والكهرباء وكل شيء حتى يتم ضمان ترحيلهم وهو يبرر خطته بأنه سيتبقى فقط خمسة آلاف من المسلحين سيرفضون المرور عبر البوابات الإسرائيلية حينها سيسهل لإسرائيل القضاء عليهم ، لكن من يدقق في خطة آيلاند يدرك بلا عناء أن الأمر لا يتعلق بصراع عسكري بقدر ما أن جوهو الفكرة هي فكرة ترانسفير المطروح وفقاً للخطة ترحيل الشمال ولكن بعد ذلك هل ستتوقف اسرائيل عن ملاحقة الجنوب ؟

مطلع الحرب طلبت اسرائيل من السكان للرحيل للجنوب لأن الشمال «منطقة عمليات عسكرية» وأن الجنوب مكاناً آمناً لكن اتضح أن عملية الإبادة كانت تجري في الجنوب بشكل لا يقل إذا لم يكن أكبر من الشمال فالقصف والقتل والسحق كان يتم بالتوازي بين المنطقتين والإستهداف كان شاملاً لأن المشروع الإسرائيلي كان يشمل كل القطاع وليس جزء منه وكتبنا سابقاً في هذه المجلة عن خصوصية غزة كدفيئة للحالة الوطنية ومنتجة أحزابها هذا ما يعرفه الإسرائيلي الذي يريد حسم الامر معها هذه المرة بالضربة القاضية بالسحق بالإبادة كما تجربة الهنود الحمر في الولايات المتحدة الاميركية التي وفرت للبيض السيطرة النهائية بعد أن استوطن البيض نصف القارة الأميركية وامتدوا على خمسين ولاية فيها كان يجب القضاء على السكان الأصليين .

تعلن حكومة اسرائيل تعيين منسق ما أطلقت عليه العمليات الإنسانية أو ما يتعلق بالشق المدني في إدارة غزة بعد إعلانها المبكر بالسيطرة العسكرية والأمنية كما قال رئيس وزرائها بداية الحرب «بين البحر والنهر سيطرة أمنية كاملة لإسرائيل» هكذا تتضح الأشياء ليبدو أن كل ما كان يجري من فعل سياسي يتعلق بغزة وما بعد الحرب وسيناريوهات أميركية وعربية وسلطة متجددة تشرف على غزة كان مجرد فعل هامشي أمام ما تريد اسرائيل وأن بنيامين نتنياهو كان يسخر من كل هؤلاء من عرب وأوروبيين وأميركيين ولماذا لا يعيش تلك النشوة وهو يقوم بإبادة شعب كامل أمام أعينهم دون أن تقوم لهم قيامة أو يرف لهم جفن ؟ بالنسبة للعرب مَن تتم إبادته هو شعب عربي منهم وبالنسبة للغرب فإن الإبادة التي تتم هي اهانة لتاريخهم وقيمهم ومؤسساتهم التي أنتجوها بعد الحرب العالمية الثانية ومنظومة أخلاق تمت كتابتها في وثائقها التي وضعت ودائع في تلك المؤسسات التي انكشف عريها ؟

كان نتنياهو في بداية الحرب خائفاً من موقف الأميركان لم يتجرأ على التبجح بمشاريعه كما يفعل الآن فالضعف الذي أظهره الرئيس بايدن في مواجهة نتنياهو أحدث هذا القدر من الجراة لدى رئيس وزراء اسرائيل لصفعه أكثر من مرة في ظل تلعثم أميركي لم يحسم أمره بعد بين داعم وشريك للإبادة وبين من لديه رغبة بتهدئة الحرب خوفاً من خسارة الإنتخابات وما أن اكتشف نتنياهو هذا التلعثم حتى رفع أقدامه عن كل الكوابح مرتكباً ما يريد من الجرائم كعمل يمهد لمشاريع أيدلوجية مستمدة من أسفار العهد القديم بأن هذه الارض أعطيت من الرب لليهود ويجب طرد أو حرق من فيها كما فعل يهوشع بن نون عندما دخل أريحا أول مرة هكذا قال بتسلئيل سموتريتش وزير المالية والشريك في وزارة الدفاع عن الضفة الغربية لتتكامل لديه المسالة كرجل ديني حين يتحكم عسكريا بالضفة كوزير دفاع ويوفر لهذا التحكم إمكانياته المالية كوزير للمالية ؟

وفي ظل الإبادة المستمرة بلا توقف في غزة ورفض أية آفاق لإنهائها تستغل حكومة إسرائيل إنشغال العالم بما يحدث هناك وسيطرة غزة على وسائل الإعلام وتركيزها على القتل والترويع والتجويع وتحت هذا ترى اسرائيل أيضاً أن تلك فرصة للإنقضاض على الضفة الغربية وهي الضربة الأهم للخطط الإسرائيلية، فالفلسطينيون أمام حكومة تتشكل من يمينين قومي وديني وكلاهما يعتبران أن الضفة الغربية هي مسرح أحداث التوراة كما تقول النصوص وبالتالي تأتي السيطرة عليها أهم من غزة وإذا كانت السيطرة على غزة تأخذ بعداً أمنياً فإن السيطرة على الضفة تاخذ بعداً دينيا يصل حد القداسة بالنسبة لبعض القوى المركزية في حكومة نتنياهو وهي تيارات تملك من القوة ما يؤهلها لإبقاء أو إنهاء الحكومة ما يجعل رئيس وزرائها ضعيفاً أمام تلك القوى ولكنه أيضا يحمل نفس البرنامج السياسي فهو كاره للعرب وللفلسطينيين .

الشهر الماضي وفي إطار استهداف الضفة شنت اسرائيل هجوماً على المخيمات الفلسطينية في شمال الضفة الغربية ، صحيح أنها لم تتوقف عن استزاف كل المدن والقرى والبلدات وقد قتلت منذ بداية الحرب 640 فلسطينياً في الضفة الغربية لكن جاء الهجوم على المخيمات مختلفاً من حيث حجم القوات التي داهمت المخيمات ولكن اللافت أن الجرافات الإسرائيلية قامت بتجريف الشوارع والبتية التحتية كما فعلت تماماً في غزة حيث محاولة إعدام الحياة هناك صحيح أن الوجود السكاني في الضفة الغربية نقيضاً للبرامج والطموحات التوراتية لكن المخيمات باتت رأس حربة هذا الوجود حيث أنها باتت تحتضن مجموعات من الشباب الثائر الرافض للإحتلال ويعبر عن رفضه بصدامات مع الجيش الإسرائيلي لكن الأمر أبعد من ذلك وهو ما أثار قلق الدولة الإردنية التي تتخوف من مشروع قديم بعاد إحياؤه .

«مشروع الوطن البديل» وقد كان الأردن قد اطمأن بعد توقيع اتفاق وادي عربة مع اسرائيل معتبراً أن الأمر يشكل إعترافاً بحدود الأردن الغربية واعترافاً بوأد مشروع أن تكون الأردن وطناً بديلاً للفلسطينيين لكن الهواجس في السنوات الأخيرة عادت من جديد مع التحولات في المجتمع الإسرائيلي وانتقال النظام السياسي من يسار الوسط الذي وقع الإتفاق ممثلاً بحزب العمل نحو اليمين القومي الديني صاحب الفكرة والذي روج لها طويلاً فإسرائيل تتخذ اجراءات متكاملة في الضفة ترمي لنفس الهدف ، إجراءات سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية بكل الوسائل تقوم بالتضييق واستهداف الفلسطينيين هناك .

المؤشرات كانت واضحة منذ سنوات فالخطة التي عرضها الرئيس الأميركي السابق دونال ترامب في يناير 2020 وأطلق عليها صفقة القرن وهي خطة اسرائيلية بالأساس كانت تشير للنوايا الإسرائيلية وقبلها كان حزب الصهيونية الدينية يعقد مؤتمره عام 2018 يعلن برنامجه السياسي المشتق كما قال الحزب من يهوشع بن نون عندما دخل أريحا كما تقول النصوص وعرض على الفلسطينيين خياراته الثلاثة إما القبول بالعيش تحت السيادة اليهودية أو الرحيل وترك البلاد أو السيف .

ولأن اسرائيل تعرف أن الشعب الفلسطيني قرر مسبقاً عدم المهادنة والكفاح ضد اسرائيل وعدم الإستسلام فإنها تقوم الآن بإستخدام السيف كوسيلة لا لإبقاء الفلسطينيين في الضفة الغربية خاضعين تحت سيطرتها بل بات واضحا أن مجموعة الإجراءات تهدف لدفعهم لترك الضفة الغربية والرحيل منها شرقاً نحو الأردن ولا يقتصر الأمر على الحكومة وما تمتلكه من ممكنات قوة كالجيش والحواجز أو التحكم بالإقتصاد واقتطاع أموال المقاصة أو تفتيت المدن بل يشاركها مجتمع كبير من المستوطنين الذين يقومون بمهاجمة القرى والبلدات والمزارعين واقتلاع أشجارهم وسرقة مواشيهم وحرق بلداتهم كما حدث في بلدة حوارة التي قام المستوطنون بحرقها .

«لم تكن هناك فرصة» هكذا يعترف رئيس وزراء اسرائيل الذي يعتبر الآن أن هناك فرصة لإغلاق الملف الفلسطيني وتشطيب القضية فقد قامت اسرائيل بعد استغلال الحركة الصهيونية للمحرقة النازية والآن تقوم اسرائيل اليمينية باستغلال ما حدث في السابع من أكتوبر في محاولة لإسدال الستار على الصراع مع الفلسطينيين بشكل يضمن سيطرة واستيلاء اسرائيل على فلسطين التاريخية بين البحر والنهر كما قال رئيس وزراء اسرائيل ، قال سابقاً سيطرة أمنية لكن الواقع وسياقاته تشي بسيطرة على كل شيء .

يعزز تلك الرغبة والشهية الإسرائيلية المفتوحة هذا الصمت الدولي وترك اسرائيل تفعل ما تشاء دون ممارسة الحد الأدنى من الضغط الممكن لوقفها أو منعها رغم أنها السبب في اشعال المنطقة بل يمكن أن تتسبب في إشعال الإقليم فقد توفرت ما يكفي من فرص التسوية لكن اسرائيل قلبت الطاولة في وجه الجميع دون أن يجرؤ أي من آباء التسويات على توجيه أي ملاحظة نقدية لها ... هذا قرأته اسرائيل جيداً ومنه تستمد القوة لإبادة شعب كامل والتخلص منه ... أو تهجيره . ■

مسار جديد للصراع الفلسطيني - الأسرائيلي

كيف حركت حرب غزة استنارة الراي العام والضمير العالمي

لندن: أمين الغفاري

رغم فداحة الثمن الذي دفعه ويدفعه الفلسطينيون، الا ان مقاومتهم لم ولن تذهب هباء، وانما مع كل قطرة دم سالت كانت انفاس تتجدد وتدب في حياة هذه القضية، التي مرت عليها عقود من الزمن، تراوحت في مراحلها المتعددة بين الخفوت والتوهج ،حتى كانت هذه الحرب التي تابع العالم أجمع الآن تفاصيلها، تحت كشافات باهرة، من المقاومة الأسطوريه للفلسطينيين ،في مواجهة ماكينة حرب ايضا اسطوريه تحرق الأرض على التراب الفلسطيني، وعلى الأخص في غزة. شعب هب في مواجهة الظلم والأستبداد،والغزو الأستيطاني المذهل بأنيابه الكاسره. لكن الجريمة الأسرائيليه لم تكن هذه المره تجري في الظلام، وانما على مرأي ومسمع من العالم بأرجائه المتسعه، وتحت انظارشعوب العالم بفضل التطور المذهل في حركة الأعلام بقنواته وفضائياته، ومراسليه وشهدائه الذين سقطوا شهداء الواجب وشهداء الضمير. وقبل ان استطرد لابد وان نحيي هؤلاء الذين حملوا رسالة الاعلام بضمير ومهنية غالبه. سقطوا ضحايا في سبيل كشف الحقائق وتنويرالراي العام،وليكن عزاؤهم وعزاؤنا لهم ان رسالتهم وصلت ، وكان لها الفضل في استنارة العالم، وحقيقة القضية بقدر لم تنله من قبل من الاعلام وفضله في ذلك لا ينكر، وفضل أيضا من هبوا لمؤازرة الفلسطينيين وحقوقهم المهدره لسنوات من العقود لابد من ان نحييهم ،ونشيد بجهودهم. أن علينا ان نتوجه بكل تقدير واحترام لمن سلط الاضواء على الحقائق المخفيه والحقوق المهدره، وفي الأول وفي الآخر للمقاومة الباسله والمعجزة لهذا الشعب الأسطوري (شعب فلسطين)، خصوصا (غزة).

وقبل ان أمضي في كتابة هذا المقال، لابد لي أن اتوقف للحظات مع هذا القطاع واسمه (غزة) وأقول اتمنى ان اركع على الأرض لأقبل كل ذره من ترابه وكل الحصى الذي يتناثر على جنباته ،واعلم ان ارضه الطيبه كم ارتوت بدم الشهداء،وكم تناثر تحت طبقاتها من اجساد،وبعض منهم كانوا احياء يتعجلهم الموت صابرين، وراضين فداء للأرض، وللعهد، ووفاء للأجيال القادمة التي ستعيد اعمارها من بعد ،وحين تتلفت للوراء،وتتذكر تضحيات آبائهم وأمهاتهم واشقائهم الذين رحلوا صغارا تحت نيران القصف والتدمير الأستيطاني، سيعرفون ان فلسطين قد عادت بفضل ذلك الجهاد وذلك السيل من التضحيات. انها (غزة) التي اخاطبها وأقول رغم جراحك الساخنه على الدوام،ورغم دماك النازفه على طول الساعات والايام ،ثم الاسابيع والشهور. رغم الجوع ومرارته،والعطش وضراوته، والمرض وقساوته،وفقدان الأهل و الأصدقاء ولوعته،رغم فقدان الأب والأم أو الأثنين معا، في بعض الأسر وفقدان الصغار أوبعضهم ان لم يكن كل الصغار، ورغم سعار الموت الذي يفتح فمه لكتم الأنفاس وازهاق الارواح وازالة اي نبض للحياة .رغم المأساة والأحزان المتراكمه .ورغم البيوت المهدمة التي تساوت بالرمال. رغم ضرب شركات الكهرباء،وحلكة الظلام رغم تفجير المياه،وتحويل الأراضي الى بركة ماء،رغم السهر وعذاباته، والقلق من الغد وحساباته، رغم جبروت العدو وطغيانه، ثم وليس آخرا تقصيرالأهل ولانقول اهمالهم اونسيانهم لمفاهيم وحدة الأرض والتاريخ والمصير. غزة ايتها الصابره على العهد ،الوفية للأرض، الأمينه على التاريخ، انك تعيشين صابره لا تستسلمين لتهديد او وعيد، رغم حدة المعارك، وصلابتك هي سلاحك، وتأكدي انه رغم وجهك الذي تهيم على محياه اتربة المعارك وغبارها ان لم تكن جروحها فأنت جميلة الجميلات ،وأعزالحبيبات لأنك تضربين المثل في القيمه والمكانة والعزة والكرامه.غزة ان كنت صغيرة في مساحتك،قليله نسبيا في عدد مواطنيك الا انك انت الكبيرة، بلا ادعاء، والشامخه بلا استعلاء، والقويه بحقوقك، وبذاتك بصوتك وذراعك، دون تسول بطلب رحمه، او حتى مسانده ورجاء. نعم ياغزةاستشهد الالاف من ابنائك تحت القصف، ومنهم من رحل فوق الارض، ومنهم من طوتهم الأرض تحت الأنقاض، نعم رحل بعض صغارك جوعى بلا طعام، ومنهم من غادروا عطشى بلا شراب بل والكثير منهم مرضى بلا علاج ولادواء. لكن تلك هي الضريبه التي صكها القدر،ووثقتها الأحداث عبرالتاريخ، الضريبه التي يدفعها الاحرارعلى مدار التاريخ منذ دونت احداثه ووقائعه في سجلات ومدونات وشهود رأوا وشهدوا كل ماجري.

فلسطين .. المرتبة الأولى في ضمير الأنسان

غزة ماذا جرى بعد السابع من اكتوبر؟

من المهم رصد ماحدث بعد السابع من اكتوبر،سواء على الضفة الاسرائيليه،او على الجبهة الخارجيه حيث تهاوت سمعة اسرائيل،بعد ان هرعت الولايات المتحده،ورفاقها من قادة اوروبا على التوالي، ومواساتهم مع وعود جرى انجازها بالتضامن معها، ومساندتها الى اقصى حد،وخصوصا ما يتعلق بالسلاح والعتاد،وطرح شعار (ان اسرائيل من حقها ان تدافع عن نفسها)، وكان ذلك فرمانا باطلاق يدها للقتل والتدمير، وسحق البشر والحجر، الى حد ان غزة التي لاتمثل سوى 2% من مساحة فلسطين اصبح عليها ان تواجه حربا يمكن ان توصف انها حرب عالميه بمعنى الكلمه تقودها الدول الكبري استمرت اسرائيل في قتالها،ولكنها لم تتمكن بمضي الايام والشهور، من ضرب حماس كتنظيم وقوة واستمرت في جنوحها، مهددة باجتياح (رفح) حيث ينتظرها الأنتصار العظيم،لتواجه فشلا بعد فشل، ولا تقبل ان تتوقف وتستجيب لمبادرات السلام، بعد ان تصاعدت الاحتجاجات الشعبيه في مختلف انحاء العالم بما فيها الدول الاوروبيه، التي سبق وان تعهد قادتها بمساندة اسرائيل، وتجد امريكا وهي مقدمة على الانتخابات الرئاسية، ان عليها ان تتحرك،والا تعرض حزبها الحاكم للخسارة، فتقدم على تقديم مبادره عقب مبادره،ولكن نتنياهو رئيس الوزراء يتذرع باسباب، وبعدها اسباب للنكوص عن تعهداته ورفض المبادارات وتعطيلها، رغم وجود الرهائن عند حماس، ورغم سقوط الكثير من القتلى في صفوف الجيش الاسرائيلي، واعتراض الكثير من القاده، ثم وبعد سقوط بعض الأسري قتلى من خلال القصف الاسرائيلي،ثم المظاهرات الاعتراضيه على سياسة نتياهو، وعمليات التسويف، وماذا وراءها.

نتنياهو

لقد تظاهر عشرات آلاف الإسرائيليين، وسط مدينة تل أبيب للمطالبة بابرام صفقة سلام والافراج عن الرهائن والانسحاب الاسرائيلي من غزة ،ثم مناقشة حل الدولتين. لكن اسرائيل او بالأحرى نتنياهو يساوم ويطرح في كل مره شروطا جديده.

اسرائيل تواجه فشل تكوينها، من حيث كونها فكرة ثم دور، كان حلم الآباء المؤسسين لتلك الدوله من اول تيودورهرتزل، وحاييم وايزمن،ومن بعدهم بن غوريون وشيمون بيريز واسحاق رابين كمؤسسين، وراودهم تحقيق العقيده الصهيونيه وقد ساعدهم الغرب في ذلك باعتبار ان انشاء هذه الدولة من شأنه ان يمزق فكرة الوحده العربيه بوجود هذا الجسم الغريب عن المنطقه كفاصل بين اجزائها، بما يخدم الفكر الاستعماري، وتلك احدى قرارات مؤتمر (كامبل بانرمان) 1907 ومن جانب آخر يمكن ان يجعل من هذه الدولة قاطره للعالم العربي، وماتستطيع ان تحققه كمرآه للمجتمع الغربي باعتبارها وجه اوروبا الحضاري في نظم الحكم، وليبراريتها، وبذلك تخدم مصالحه، وترويج لأفكاره ولمبادئه في الديموقراطيه والأمتثال للحضارة الغربيه في نفس الوقت كان القادة للفكره يركزون كذلك على ان اسرائيل يمكن لها الامتداد بالسياسة، والحفاظ على القواعد المؤسسية من خلال المشروعات الجامعه، ونرى مثالا على ذلك بن غوريون يحاول مد التعاون مع الثورة المصريه عن طريق ارسال تهنئة للقادة الجدد ،والتفاهم معهم، وكان شيمون بيريز هو صاحب مشروع (الشرق الاوسط الجديد) ساعيا ان تندمج اسرائيل من خلال توجهات مشتركه مع العرب، عمادها التعاون عبر الاعتراف وتبادل المصالح المشتركه، وكان اسحاق رابين هو من شارك عرفات في (اتفاقية اوسلو) وبدء صفحة جديده من العلاقات عبر الاعتراف المتبادل، وعلى الجانب الآخر كان هناك من الاسرائيليين من لا يرون ان ثمة سبيل للسلام مع الفلسطينيين، وانه لا بد من اقتلاعم من الارض الموعوده، باجلائهم عن طريق التهجير، أو التصفيه ان لم يتمكنوا من طردهم وكان قيادة هذا الموقف الذي ترجع اليها الجذور الفكرية لحزب (الليكود) هو القائد الاوكراني الاصل زئيف جابوتينسكي، الذي كانت حركته القومية الليبرالية (بيتار) المعارض الرئيسي لحزب ماباي الاشتراكي بزعامة دافيد بن غوريون وقد جاء الى فلسطين على رأس فرقة مدربه مع القائد الانجليزي (اللنبي) بعد وعد بلفورعام 1917 حيث دخل يوم 9 نوفمبر الى فلسطين كما انه صاحب مقولة (الجدار الحديدي) ويعنى الجدار الفكري الذي لايعطي الفلسطينيين اي امل ويسد امامهم كل الابواب ،ويذكر انه الاب الروحي لكل من مناحم بيغن وقد ورث تلك الافكار بنيامين نتنياهو. لكن تعثرت افكار شيمون بيريز في المشروع الأسرائيلي ونسج نظرية (الشرق الأوسط الجديد) نظرا للمقاومة العربيه لهذا الفكر الصهيوني .كما تعثر حلم اسحاق رابين في ايجاد صيغة سلام مع العرب، للمقاومة الشرسه التي تزعمها القائد الجديد لليكود الأسرائيلي وهو بنيامين نتنياهو، وقد ادت حملته المضاده لمشروع اسحاق رابين للسلام الى مقتل رابين ،ثم ادت المقاومة للسلام في اسرائيل الى حصار عرفات ثم التآمر على قتله.

كيف تفكر النخبه الحاكمه في اسرائيل

حققت اسرائيل نصرا خادعا عام 1967، فلم تكن تلك حقيقة قوتها وهزم العرب هزيمة ساحقه، ولم تكن هزيمتهم بسبب ضعفهم في الأساس، وانما كان نتيجة سوء ادارة في المستوى الأول، فالجيش المصري لم يحارب، في عام 67 وانكشفت القيادة الكسيحه للمشير عبد الحكيم عامر، ونعرف تفاصيل محاولته الانقلاب على عبدالناصر،بعد ان رفض عودته قائدا للقوات المسلحه. كذلك تسرب غرور كاسح لأسرائيل لذلك النصر الخادع، فانتفخت حتى انكشفت في السابع من حزيران، ومقدماته كانت في اجبارها على انسحابها من لبنان ،وبعدها اجبارها على الانسحاب من غزة زمن شارون ، وبالنسبه للعرب كان في حرب اكتوبر واستعدادهم لخوضها الأثر الكبير لذلك الانجاز الذي تحقق ولولا الادارة السيئه للرئيس انور السادات لكان النصر اعلى واكثر اثرا وان كانت الجيوش قد ابدعت وتفانت وخاضت حربا لها تاريخ. اسرائيل اصيبت بضربة عمرها وقد روعها ماحدث فبدأت بالتركيز على استخدام السلاح ودائما العنف يمكن ان يروي بعض العطش للأنتقام ،ولكن السلاح على الدوام كما ان العنف على الدوام يورط ، ويفاقم ،ولكنه ابدا لا يعالج ولا يصحح. اسرائيل تحاول العمل على استعادة هيبتها ،باعتبارها قد روجت لمقولة كاذبه (انها صاحبة الجيش الذي لايقهر)، والآن العالم كله يرى الجيش الذي لا يحقق اي انتصار، فيكون تعويضه لذلك قصف وقتل المدنيين خصوصا الأطفال والنساء والشيوخ ،كما تحاول من جانب آخر اغتيال القيادات مثل هنيه وفؤاد شكر والعروري وفي مواقع بعيده عن ارض المعارك الحقيقيه.

نتذكر كذلك المعركه التي خاضها نتنياهو، من اجل اجراء تعديلات قضائيه مثيرة للجدل، وقد اثارت احتجاجات في عموم الدولة الاسرائيليه العام المضي ضد حكومة نتنياهو،وكان من شأن تلك التعديلات الحد من سلطة المحكمة العليا في إلغاء القوانين التي تعتبرها غير دستورية.ويقول منتقدون إن هذه الإجراءات ستؤدي إلى تقويض الديمقراطية في إسرائيل بشدة، من خلال إضعاف النظام القضائي. ومحاولة نتنياهو تلك كشفت الغطاء عن حقيقة اسرائيل انها لم تكن تلك الدوله الليبراليه الديموقرطيه التي تدرك ان عمادها الأساسي هو احترام القانون، ثم والأدهى والأمر، ان نتنياهو ذاته تنتظره اجراءات المحاكمه على تهم فساد وقد سبق ان سجن الرئيس السابق اولمرت بتهم فساد ورئيس جمهوريه سابق بتهم تحرش جنسي. اي ان اسرائيل لا تمثل الوجه الأوروبي الحضاري الذي كانت تسعى اليه الدول التي تساندها.

يضاف الى ذلك مانراه يجري على الساحة الاسرائيلية حول جنودها الموزعين على جبهات متعدده في غزة وفي الضفة الغربيه وفي الشمال مع لبنان ويتعرضون لضربات اليمنيين من جماعة الحوثي وللجبهة السوريه في الجولان، فهل يمكن ان تكون هناك ادارة حقيقيه للاستمرار في الحرب.

ان صورة اسرائيل الجديده في العديد من دول العالم لم تعد في نفس المكانه التي ينظر اليها من قبل لقد تداعى على نحو خطير منظور السلام وسقط ميراثه بعد ان تمكن اليمين المتطرف من سلطة الحكم ،ونتذكر الدور التحريضي الذي كان يقوم به الحاخام (مائيري كاهانا) وقد قتل عام 1990 وقتله احد المصريين في امريكا واسمه سيد نصير، وقد علت الآن نبرة التحريض ونشاهدها مع بن غفير وزميله وزير المالية ،ويتصور البعض انهما يؤثران على نتنياهو في اتخاذ سياسات متطرفه وينسون ان نتنياهو نفسه احد اعمدة التطرف، وهو الآن يتجه للتلاعب مع الانتخابات الامريكيه، ويسعى لأسقاط هاريسون وانتخاب ترامب حتى يساعده في الخروج من اخفاقاته المتواليه. ويصر على عدم انجاز صفقة الرهائن، ويتجاهل ان هناك اكثر من 700 الف مستوطن بعيدين عن مكان اقامتهم في مناطقع وتم تهجيرهم بحثا عن امنهم من ضربات المقاومة أو صواريخ حزب الله. ان السابع من اكتوبر من العام الماضي ،لم يكن في مضمونه الأساسي، سوي تاريخٌ كاشفٌ للمستور عن الجيش الذي لا يهزم وان اسرائيل واحة الديموقراطيه، التي سوف تجرى التفاعل المنوط بها مع المجتماعات التي خاصمت الديموقراطيه، وعادت العلوم والفنون والآداب، وستكون هي قاطرتهم للنمو والتطور، والآن سقطت كل هذه الدعاوي ولم تعد اسرائيل الا نموذجا للفاشية وللعنصريه والاستبداد وهي من تقوض اسس السلام في المنطقه ،ولا تنام الا ويدها على الزناد ،اما شعب فلسطين فهو اسطورة ومولد الأبطال ،ومعجزة المقاومة في مواجهة السطو والاستبداد وارهاب الدوله ،التي تقف اليوم امام العالم ، وحكامها متهمون امام المحاكم الدوليه في انتظار القصاص الدولي لما ارتكبوه من مجازر، وعمليات اباده لشعب رفع رايته ضد التوطين والاستبداد، وتقف (غزة) التي لم تعدُ مجرد مدينه او قطاع ،وانما اصبحت رمزا وعنوانا وصيتا وسمعه تهتز لها القلوب و العقول وكل خفقة في الوجدان. ■

القاهرة تنفي العسكرة وأديس أبابا تحذّر من لهجة عدائية جديدة

لماذا تحرُّك مصر العسكري صوب الصومال؟

محمد قواص*

تلعب القارة الأفريقية في السنوات الأخيرة دورا مفصليا في تحديد الوجهات التي يذهب صوبها مستقبل النظام الدولي. وفيما ثابرت دول كبرى على توسيع وجودها ونفوذها في المنطقة، استفاقت دول أخرى على أوجاع الخسارة والتراجع وآمال الربح والتقدم. ومن يراقب أحوال القارة من شمالها إلى أقصى جنوبها مرورا بأحوال ساحلها وأعراض غربها، سيستنتج بسهولة يابسةً مضطربةً تقوم على براكين، كثيرها خافت، وتطلّ على مياه تشهد الصراع الجديد بين الأمم.

ومصر في قلب هذا الصراع الكبير. تقاربه وتراقبه، سواء على حدودها المباشرة، أم داخل ما تعتبره فضاءها الاستراتيجي الأوسع، أم من خلال تماسّ مباشر وداهم في ما يتلعق بملفات ساخنة مثل ليبيا، والسودان، وأثيوبيا، والصومال، ومنطقة القرن الأفريقي. وإذا ما يبرز البحر الأحمر، منذ اندلاع حرب غزّة في 7 تشرين الأول (أكتوبر) 2023، وخصوصا منذ بدء جماعة الحوثي، في تشرين الثاني (نوفمبر) من نفس العام، استهدافها للملاحة الدولية «نصرة لغزّة»، كميدان أمني واقتصادي ضاغط على مصر وقناة السويس فيها، فإن أفريقيا المطلّة على هذا البحر باتت أولوية في استراتيجيات السياسة والأمن في أجندات الدولة المصرية.

عُرف عن السياسة الخارجية المصرية الروية والهدوء والبعد من أي انفعالات متعجّلة. يكفي تأمل المقاربة المصرية الرسمية لأزمة «سدّ النهضة» الذي تشيّده أثيوبيا على نحو تعتبره القاهرة، في الشكل والأسلوب والمضمون والنتائج، مضرّا بمستوى حاجات مصر من المياه. استعاد الخبراء قولة هيرودوت الشهير، «مصر هبة النيل»، لاستشراف حتمية لجوْ مصر إلى القوة العسكرية للدفاع عن حقوق مائية هي أساس في اقتصاد البلد واستقراره ومستقبل وجوده.

ومع ذلك راحت القاهرة تستنفد سبل الدبلوماسية والقانون من دون أي توتّر قد يؤثر على سكينة أفريقيا. لسان حال القاهرة ما برح يردّد أن مصر ليست ضد "السدّ"، وليست ضد خطط أثيوبيا للتنمية، لكنها ضد تجاوز القوانين الدولية التي تنظّم حصص الأنهار العابرة للحدود، وضد "سياسة جائرة" لا تأخذ بعين الاعتبار مصالح دول المصبّ، مصر والسودان، ولا تداري أبجديات التعايش بين الدول وأصول العلاقات السويّة، التاريخية خصوصا، بين دول أفريقيا.

عملت أثيوبيا بالمقابل على شراء الوقت، مرحلة وراء أخرى. استغلت تناقضات المصالح الدولية، وضعف المؤسسات الإقليمية والأممية، وراحت تنفّذ خطط ملء السدّ على الرغم من اقتراحات تقنية قدمت من القريب والبعيد لتحقيق الأمر من دون الإضرار بمصالح مصر ومستويات تدفق المياه صوبها.

وفيما بدا أن الخيار العسكري المباشر مستبعدا، فإن الصراع أخذ أوجها متعددة معقّدة في أفريقيا، لا تتعلق بمستقبل المياه في مساراته، بل بالنظام الإقليمي في أفريقيا، بما هو صراع دولي أقليمي نجد مسارحه ناشطة في ليبيا والسودان ودول الساحل الأفريقي وبين دول القرن الأفريقي. وإذا ما كان الحراك العسكري هوجزء من مفهوم الدبلوماسية والعمل السياسي، فإن واجهات عسكرية بدأت تطل برأسها على المنطقة من نوافذ القاهرة من دون أن يكون في الأمر أي إعداد لصدام ومواجهة.

خلاف أثيوبيا والصومال

اندلع التوتّر بين أثيوبيا والصومال بسبب الاتفاق المبدئي الإطاري الذي أبرمته أديس ابابا مع حكومة «أرض الصومال» في أول العام الجاري، وصولا إلى إعلان إثيوبيا، في 30 آب (أغسطس) 2024، تعيين سفير لها بـ "أرض الصومال"، وذلك لأول مرة منذ بدء العلاقات بين أديس أبابا والإقليم الانفصالي.

ويعود أصل الأزمة تاريخياً إلى حاجة إثيوبيا إلى منفذ بحري بعد أن فقدته بعد انفصال أريتريا عنها وإعلانها استقلالها عام 1993 بعد حرب دامت 30 عاماً. وقد اعتمدت إثيوبيا لاحقا على موانئ الدول المجاورة. هذه الحاجة، وفق المبررات الأثيوبية هي التي دفعت أديس أبابا إلى إبرام هذا الاتفاق، في أول عام 2024 لتأمين ممر مباشر إلى البحر الأحمر عبر «أرض الصومال».

و «أرض الصومال» هي منطقة أعلنت استقلالها عن الصومال منذ 30 عاما من دون أن تحظى باعتراف دولي. وتعتبر الصومال، «أرض الصومال» جزءاً من أراضيها. وتعتبر أن لا صفة قانونية لها للتفاوض بشكل مستقل على الاتفاقيات الدولية. وقد وصف رئيس الوزراء الصومالي، حمزة عبدي بري، الصفقة مع إثيوبيا بأنها عمل عدواني ضد سيادة الصومال وسلامة أراضيه وتهديد مباشر لموارده البحرية. وقال إن حكومته ستدافع عن حقوقها.

ورغم الوضع القانوني المثير للجدل لـ «أرض الصومال»، وقع هذا الإقليم اتفاقيات استثمار دولية، بما في ذلك مع شركة «موانئ دبي العالمية» لتوسيع مينائه الرئيسي ومع شركة «غينيل إنيرجي» (Genel Energy) ومقرها لندن لاستكشاف النفط.

وينص الاتفاق العتيد مع «أرض الصومال» على حصول إثيوبيا على إمكانية الوصول إلى خليج عدن عبر ممر تستأجره لمدة 50 عاماً. ويمكن لإثيوبيا إنشاء قاعدة عسكرية ومرافق تجارية هناك. في المقابل، ستحصل «أرض الصومال» على حصة غير محددة في الخطوط الجوية الإثيوبية، أكبر شركة طيران في القارة.

وقال رئيس «أرض الصومال»، موسى بيحي عبدي، إن إثيوبيا ستعترف رسمياً بأرض الصومال كدولة ذات سيادة.

إثر هذا الاتفاق طردت الصومال سفير إثيوبيا وأغلقت قنصلياتها، واستدعت سفيرها من أديس أبابا، وهددت بفرض عقوبات على الشركات التي تعامل «أرض الصومال» كدولة مستقلة. وكا ذكرنا سابقا، ووسط الحديث عن مخاوف بشأن احتمال أن تتمكن إثيوبيا، من خلال اتفاقها مع «أرض الصومال»، من الوصول إلى مضيق باب المندب الذي يربط خليج عدن بالبحر الأحمر، والذي يتدفق إلى قناة السويس، وقعت مصر اتفاقية مع الصومال تهدف إلى تعزيز التعاون الأمني صادقت عليها حكومة الصومال في 20 تموز (يوليو) 2024.

قوات مصرية إلى الصومال

فجّر وصول تعزيزات عسكرية مصرية إلى مطار مقديشو في الصومال في آب (أغسطس) 2024 غضب أثيوبيا لما يحمله هذا التطوّر من تداعيات على التوازنات الجيوسياسية في المنطقة. وعُدّ الحدث تطوّرا لافتا في سياسة القاهرة ويعبّر عن مقاربة مختلفة لشؤون القرن الأفريقي. وفيما تستفيد الصومال، بعد اتفاقاتها العسكرية مع تركيا، من دعم عسكري مصري قد يتطوّر إلى وجود دائم أو طويل الأمد، أتت زيارة الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، إلى تركيا في مطلع أيلول (سبتمبر) 2024 لتدفع بمياه جديدة باتجاه طاحونة الحراك باتجاه الصومال.

بدأت الحكاية في كانون الثاني (يناير) 2024 حين أُعلن عن توقيع أثيوبيا اتفاقاً مبدئياً مع إقليم «أرض الصومال» تحصل بموجبه أديس أبابا على مَنفذ بحري يتضمن ميناءً تجارياً وقاعدة عسكرية في منطقة بربرة لمدة 50 عاماً، مقابل اعتراف إثيوبيا بـ «أرض الصومال» دولةً مستقلةً. وكانت مصادر إثيوبية قد ذكرت أن رئيس الوزراء الإثيوبي آبي أحمد، يعتزم نقل قواعد عسكرية إلى إقليم أوجادين في الإقليم الصومالي.

رفضت مصر هذا الاتفاق واعتبرته «مخالفاً للقانون الدولي، واعتداء على السيادة الصومالية». رأى خبراء حينها أن جانبا من التحرك المصري مرتبط بالتهديدات التي تراها القاهرة ماثلة في احتمالات حصول أديس أبابا على منفذ بحري وقاعدة عسكرية في إقليم «أرض الصومال»، مما يلقي بظلاله على مصالح مصر في المنطقة وعلى حركة التجارة العابرة إلى قناة السويس أيضًا.

في 20 تموز (يوليو) 2024، أُعلن في مقديشو عن موافقة الحكومة الصومالية خلال «اجتماع استثنائي» لمجلس الوزراء، على اتفاقية دفاعية بين مصر والصومال. وفي 27 (آب) أغسطس 2024 كشفت مصادر إعلامية صومالية عن وصول طائرتين عسكريتين مصريتين من طراز سي–130 إلى مطار آدم عدي الدولي في العاصمة الصومالية مقديشو، تحملان معدات عسكرية ثقيلة وضباطا من الجيش المصري. وقالت هذه المصادر إن الأمر يندرج «ضمن إعادة تنظيم استراتيجي أوسع نطاقاً في منطقة القرن الأفريقي، حيث يسعى الصومال إلى تعزيز قدراته العسكرية من خلال الشراكات الدولية».

ولشرح هذا التطوّر ووضعه في إطاره الدقيق، ، ثمّن سفير الصومال لدى مصر، علي عبدي أواري، في 28 آب (أغسطس) بدء وصول المعدات والوفود العسكرية المصرية إلى العاصمة الصومالية مقديشو "في إطار مشاركة مصر بقوات حفظ السلام"، موضحاً أن «مصر ستكون أولى الدول التي تنشر قوات لدعم الجيش الصومالي بعد انسحاب قوات الاتحاد الأفريقي الحالية».

سجال مصر ـ أثيوبيا

وفق مصادر إعلامية صومالية، فإن هذا التطوّر يأتي في الوقت الذي تستعد فيه مصر للمشاركة في بعثة الدعم التابعة للاتحاد الأفريقي في الصومال (AUSSOM)، والتي من المقرر أن تحل محل بعثة الاتحاد الأفريقي الانتقالية الحالية (ATMIS) بحلول يناير المقبل. وكان الرئيس المصري أعلن، في 14 آب (أغسطس)، في مؤتمر صحافي مشترك في القاهرة مع نظيره الصومالي حسن شيخ محمود، أنه «في هذا العام سيتم تجديد بعثة حفظ السلام في الصومال، وسنتقدم للمشاركة في هذه البعثة، والأمر متروك للدولة المضيفة (الصومال)، إن كانت ترغب أن نكون موجودين فسنكون».

وكان بيان صادر عن الاتحاد الأفريقي أعلن في وقت سابق من نفس الشهر، عن عرض مصر للمساهمة بقوات في مهمة حفظ سلام جديدة «

مصر ترسل 10 آلاف جندي إلى الصومال

ستنطلق العام المقبل في الصومال. كانت الصومال هددت في وقت سابق بطرد ما يصل إلى 10 آلاف جندي إثيوبي، موجودين هناك كجزء من مهمة حفظ السلام وبموجب اتفاقيات ثنائية لمحاربة متشددي حركة الشباب، إذا لم يتم إلغاء الصفقة بين إثيوبيا و «أرض الصومال».

وأيا تكن معطيات هذا التطوّر، فإنه يؤشّر إلى تحرك عسكري مصري صوب الصومال يأخذ أبعادا مختلفة في شكله وطبيعه مهامه. فوفق مصادر إعلامية أفريقية فإن القاهرة وافقت على نشر 10 آلاف جندي مصري (5 آلاف في عداد Aussom و 5 آلاف سيكون مقرهم في منطقة هيران المتاخمة لإثيوبيا. غير أن الأمر أقلق أثيوبيا واعتبرته في ما صدر عنها من بيانات وما أسرته منابرها القريبة تطوّرا جديدا غير مسبوف وربما غير مألوف في مقاربات القاهرة للعلاقة مع أثيوبيا منذ اندلاع أزمة «سدّ النهضة».

في هذا الصدد، وتعليقا على إرسال مصر معدات عسكرية إلى الصومال، أصدرت الخارجية الإثيوبية بيانا انتقدت فيه ذلك معلنة أن الصومال تتواطأ مع جهات خارجية تهدف لزعزعة استقرار إثيوبيا. وأعربت الحكومة الإثيوبية عن قلقها من التشكيل الجديد لبعثة الاتحاد الإفريقي لحفظ الأمن في الصومال والذي جاء بعد إرسال مصر معدات عسكرية إلى الصومال تزامنا مع اتفاقية التعاون العسكري الموقعة بين مصر والصومال.

وذكر مكتب المتحدث الرسمي باسم الخارجية الإثيوبية، أن إثيوبيا لن تقف خاملة تجاه ما يهدد أمنها القومي، وأنها تراقب عن كثب التطورات في المنطقة، مضيفة أن إثيوبيا ظلت تتجاهل التصريحات العدائية، والمحاولة المستمرة لتقويض تضحيات قوات الدفاع الإثيوبية في حفظ السلام في الصومال. وذكرت أنها لا يمكن أن تقف مكتوفة الأيدي بينما تتخذ الجهات الفاعلة الأخرى لم تسمها تدابير لزعزعة استقرار المنطقة.

ويرى مصدر أثيوبي مراقب أن أثيوبيا تلقت باستياء رسالة دعم مصر للصومال في خلافها مع أثيوبيا. واعتبر أن حساسية العلاقة المصرية الإثيوبية وتعقيدات ملف سد النهضة ومعارضة مصر لوصول إثيوبيا إلى البحر الأحمر وقيامها بتحشيد جامعة الدول العربية ضد إثيوبيا عزز الفهم السلبي للتحرك المصري الأخير. وقد تحدثت مصادر أثيوبية عن تطور «اللغة العدائية» من قيادات مقديشو، و «تحركها في اتجاه التحشيد الديني للمجموعات المتطرفة لاستخدامها في حل الخلاف مع إثيوبيا»، وهو ما دفع أديس أبابا للتخوف من «عدم انضباط» حكومة مقديشو في إدارة السلاح والمعدات المصرية، بحسبه.

بالمقابل، تمسّكت مصر بسردية رسمية تنفي بتاتا أي مقاربات عدائية عسكرية في ما هو

سد النهضة: سد التوتر بين مصر وأثيوبيا

معهود في علاقاتها القديمة مع دولة عربية مثل الصومال عضو في جامعة الدول العربية. وأوضح مصدر مصري مراقب أن تلك الخطوة جاءت في ضوء بروتوكول التعاون الأمني الذي وقعته مصر والصومال مطلع هذا العام، حيث تهدف القاهرة إلى أن تساعد الصومال في حفظ أمن مضيق باب المندب على البحر الأحمر والذي يعد أحد عوامل أمن قناة السويس المصرية.

ونفت مصادر مصرية متخصصة أن يعتبر الأمر تدخلا عسكريا مصريا مباشرا في الصومال، مذكّرة أن مصر لا تمتلك قواعد عسكرية هناك وأن الأمر لا يعدو عن كونه طلبا تقدمت به دولة عربية (الصومال) للمشاركة في قوات حفظ السلام. أضاف خبراء في الشؤون الأفريقية أن مصر تؤكد حضورها في الصومال مقابل تنامي دور دول مثل أثيوبيا وتركيا وتستجيب للحاجة إلى تحديث الجيش الصومالي وبعث رسالة جيوستراتيجية تتعلق بوقوف القاهرة إلى جانب مقديشو.

وقد أفتت مصادر مصرية أخرى أن الأمر جزء من متطلبات اتفاقية الدفاع المشترك لجهة دعم مصر للقوات الصومالية وتدريبها وتزويدها بالسلاح لمواجهة الإرهاب. وأضافت أن الصومال دولة استراتيجية بالنسبة إلى مصر وتعاون الدولتين يتّسق مع مواقفهما الرافضة للتحركات الإثيوبية الجديدة تجاه مقديشو أو الأمن المائي المصري.

سياسة مصرية جديدة في أفريقيا؟

الأمر ليس تفصيلا يتعلق بثنائية العلاقة بين مصر والصومال وثنائية الخلاف بين مصر وأثيوبيا. وكان المراقبون لشؤون السياسة الخارجية المصرية لاحظوا همّة مصرية جديدة حيال المنطقة، وأشاروا إلى أن جيبوتي ومقديشو كانتا أولى وجهات وزير الخارجية المصري الجديد، بدر عبد العاطي، وأن القاهرة أعلنت عن نيتها افتتاح مبنى جديد لسفارتها في العاصمة الصومالية مقديشو، بجانب إطلاق خطوط طيران مباشرة بين العاصمة المصرية وكل من جيبوتي والصومال.

ويلفت مصدر مصري مراقب إلى أن مصر تتجاوز مرحلة إرسال الرسائل إلى إثيوبيا وتعتمد حاليا «سياسة الأفعال لا الأقوال». ولفت مع ذلك إلى أن خيار المواجهة المباشرة مع إثيوبيا ليس مطروحا لدى بلاده، وأن مصر تحرص على سياسة عدم الاعتداء.

ويلاحظ مراقبون أن القاهرة تستغل فرصة تاريخية لمحاولة تشكيل تحالف إقليمي بقيادتها يضم دول الجوار الإثيوبي، مستغلة حالة التوتر بين هذه الدول وأديس أبابا، وهو ما بدأت ملامحه بالظهور مع الأنباء التي ترددت مطلع هذا العام حول تزايد احتمالات تكوّن تحالف مصري إريتري صومالي. وفيما من المبكّر المغامرة في استشراف سياسة مصرية جديدة لمصر في القارة السمراء.

وعلى الرغم من عدم وضوح ما إذا كانت قمّة الرئيس المصري مع نظيره التركي، رجب طيب أردوغان، قد أثمرت عن تفاهمات مشتركة بشأن القرن الأفريقي والصومال، غير أن بديهيات التقارب المنجز خلال الأشهر الأخيرة بين القاهرة وأنقرة يفرض شكلا من أشكال التكامل والتقاطع في منطقة المصالح المشتركة.

ومعروف أن اتفاق التعاون العسكري بين الصومال ومصر يأتي بعد إبرام الصومال اتفاقية مع تركيا. وتحدثت الأنباء عن استعداد تركيا لإرسال دعم من قوات البحرية إلى المياه الصومالية بعد أن اتفق البلدان على أن ترسل أنقرة سفينة استكشاف قبالة سواحل الصومال للتنقيب عن النفط والغاز. وجدير هنا التذكير بأنه في تموز (يوليو) 2024، أوردت وكالة الأناضول التركية الرسمية أن الرئيس التركي قدم اقتراحا إلى البرلمان يطلب فيه الحصول على إذن لنشر قوات من الجيش التركي في الصومال، بما يشمل المياه الإقليمية الصومالية. الجدير بالذكر أنه في عام 2017، افتتحت تركيا أكبر قاعدة عسكرية خارجية لها في مقديشو، توفر تركيا التدريب للجيش والشرطة الصوماليين.■

* صحافي وكاتب سياسي

السفياني باسم المؤتمر القومي ـ الإسلامي والمؤتمر العربي العام:

مقاومة يستشهد قادتها على طريق القدس هي مقاومة منتصرة مهما طال الزمن

● قائد يقدم حياته من أجل فلسطين سيبقى رمزاً كبيراً في تاريخ شعبه وأمّته و العالم

معن بشور*

أثر اغتيال القائد الكبير الشهيد أمين عام حزب الله سماحة السيد حسن نصر الله صدر عن الأستاذ خالد السفياني المنسق العام للمؤتمر القومي ـ الإسلامي ورئيس لجنة المتابعة في المؤتمر العربي العام البيان التالي:

إن مقاومة تقدم قادتها شهداء على طريق القدس ـ فلسطين، لا يمكن إلاّ أن تكون منتصرة على الأعداء والمحتلين وداعميهم مهما طال الزمن، وإن قادة يطلبون الشهادة في سبيل الله والوطن كسماحة السيد حسن نصر الله أمين عام حزب الله، هم قادة يسجل التاريخ لهم دورهم الاستثنائي في محطاته.

ولذلك العظماء لا يموتون، ورمز قائد مثل الشهيد سماحة السيد حسن نصر الله لا يمكن لبصماته ان تنمحي، ولا يمكن الا ان يكون نموذجا للأجيال، الحالية منها والقادمة، خاصة إذا كان فعلاً نموذجا في الاخلاق وفي الصدق وفي حب الشهادة من اجل ارضه ومقدساته عاشقا لوطنه مثل الشهيد الكبير الغالي القائد حسن نصر الله.

لم يكن سماحة السيد حسن نصر الله مجرد زعيم للمقاومة، بل كان قائداً بارعاً في السياسة والعمل الوحدوي ومحاصرة الفتن لإدراكه أن الحليف الرئيسي لأعدائه هم دعاة التجزئة والتفرقة ونشر الفتن.

إن القائد الذي ينصر شعباً مظلوماً بوجه واحد من أبشع أنواع العدوان الذي عرفته الإنسانية، هو قائد باق في ضمير شعبه وأمّته وأحرار العالم رمزاً للعطاء والفداء والجهاد في زمن التخلي و التخاذل والتواطئ.

إن أمتنا وشرفاءها والعالم وأحراره يشاركون أسرة الشهيد الكبير وحزبه المقاوم وشعبه اللبناني العظيم وأمته المعطاء الاعتزاز بهذه الشهادة التي هي وسام إلهي له ولكل الشهداء.

انا لله وانا اليه راجعون.

□■□

في مشروع تحررها ونهوضها عبر الانفصال بين مصر وسورية في الجمهورية العربية المتحدة، والتي تواصلت في عصر الانقسامات العبثية بين قوى النهوض.. ولكن في أيلول 1982 بدأت مرحلة نهوض جديدة متمثلة بالمقاومة الوطنية والإسلامية في لبنان، التي هزمت المحتل وانجزت التحرير لتتكامل مع انتفاضة الحجارة في فلسطين في 8 كانون أول/ديسمبر 1987، ثم في انتفاضة الأقصى في 2000/9/28، والتي بدورها تواصلت عبر هبات وانتفاضات حتى كانت ملحمة «طوفان الاقصى» المستمرة حتى الآن..

إن تاريخ أمّتنا الحديث منذ حصار الفالوجة الى مجزرة الفالوجة.. مروراً بملحمة الفالوجة في العراق بعد الاحتلال الأميركي الإجرامي عام 2003، والحرب الكونية على سورية، وحرب الناتو على ليبيا، ومحاولات تدمير اليمن العظيم، ناهيك بالعشرية الدامية في الجزائر، والفتن المعلنة والخفية في لبنان، والحرب التي تسعى الى تقسيم السودان وطمس هويته العربية والاسلامية، واتفاقات «السلام» والتطبيع مع الكيان الغاصب التي لم تشهد الامة حروباً وفتناً كما شهدته في ظلها، هو تاريخ مليء بالأحداث التي منها ما هو إيجابي ينبغي تطويره، ومنها ما هو سلبي علينا تجاوزه..

لقد قدم جمال عبد الناصر لأمّته ولحركة التحرر العالمي الكثير.. إلاّ أنه قدم لفلسطين والمقاومة ولوحدة الأمّة "وصايا ذهبية" خالدة تزداد أهمية الأخذ بها اليوم ونحن نخوض في فلسطين ولبنان وكافة ساحات المقاومة واحدة من أقسى الحروب التي شهدها عالمنا المعاصر.

ومن أبرز وصايا ناصر:

- ما أخذ بالقوة لا يسترد إلاّ بالقوة
- إذا فرض علينا القتال لن يفرض علينا أبداً الاستسلام
- المقاومة الفلسطينية وجدت لتبقى وستبقى
- إرفع رأسك يا أخي فقد مضى زمن الاستعباد
- أللهم اعطنا القوة لندرك أن الخائفين لا يصنعون الحرية، والضعفاء لا يخلقون الكرامة، والمترددين لن تقوى أيديهم المرتعشة على البناء
- إن الوحدة العربية هي أملنا في تحرير فلسطين
- إن النصر حركة، والحركة عمل، والعمل فكرة، والفكر فهم وإيمان، وهكذا كل شيئ يبدأ بالإنسان
- الوحدة موجودة فعلاً بين أبناء الشعب العربي، ولكن الخلافات قائمة بين النظم والحكومات
- إن الذين يقاتلون يحق لهم أن يأملوا في النصر، أما الذين لا يقاتلون فلا ينتظرون شيئاً غير القتل
- إن الحق بغير قوة ضائع، والسلام بغير مقدرة الدفاع عنه استسلام.

في الذكرى 54 لرحيله وأجواء ملحمة الأقصى «وصايا» جمال عبد الناصر الذهبية

■ هل هي مجرد صدفة ان يختار مجرمو الحرب الصهاينة مدرسة الفالوجة في مخيم جباليا في قطاع غزة أمس في 27 أيلول 2024، لارتكاب مجزرة جديدة بحق أبناء غزة الأباة.. عشية الذكرى الرابعة والخمسين لرحيل القائد الخالد الذكر جمال عبد الناصر في 28 أيلول 1970، الذي حين كان محاصراً في الفالوجة خلال حرب 1948، لمعت في رأسه فكرة ثورة 23 يوليو في مصر التي عرفت مع أبي خالد أياماً كانت تقود فيها أمّتها على طريق الوحدة والعزة وترشد أحرار العالم على طريق الحرية والكرامة.

وفي 28 أيلول/سبتمبر1961أيضاً، شهدت الأمّة بدايات الردة

* الامين العام السابق للمؤتمر القومي العربي

كتب المحرر الإقتصادي:

كلنا كان يقرأ في الآونة الأخيرة أخبار المركبات الكهربائية الصينية و"الحرب" الدائرة بين بكين من جهة وأوروبا والولايات المتحدة من جهة أخرى.

في الصين، يطلق على هذا النوع من المركبات، مصطلح «مركبات الطاقة الجديدة» كونه يشمل تلك الكهربائية التي تعمل بالبطاريات والهجينة التي تعمل بالكهرباء بالإضافة إلى المركبات الكهربائية التي تعمل بخلايا الوقود.

وفقًا لبيانات الجمارك الصينية وجمعيات الصناعة، فإن الغالبية العظمى من مركبات الطاقة الجديدة الصينية التي يتم إنتاجها وبيعها وتصديرها هي مركبات كهربائية تعمل بالبطاريات ومركبات هجينة تعمل بالكهرباء. وهذان النوعان يطبق عليهما تسمية المركبات الكهربائية.

في الحقيقة، يشهد قطاع المركبات الكهربائية في الصين ازدهاراً كبيراً، لدرجة أنه ساعد في دفع البلاد إلى قمة قائمة مصدّري السيارات في العالم في عام 2023، لتحل محل اليابان، القائد السابق. وباتت أكثر من نصف المركبات الكهربائية على طرق العالم تصنّع في الصين.

ومن عام 2009 إلى عام 2023 بالإضافة إلى الدعم السياسي القوي – ضخت الحكومة الصينية ما يقدر بنحو 230 مليار دولار في الصناعة، مع تسارع هذا المعدل بنحو ثلاثة أضعاف على مدى السنوات الخمس الماضية، حتى مع انتهاء بعض الإعانات.

ومع ذلك، تجاوز الإنتاج الطلب. تقول صحيفة «ذي بابير» التابعة للدولة الصينية، أنه باستثناء عدد قليل من العلامات التجارية الرائدة، مثل «بي واي دي»، أنتجت معظم شركات تصنيع المركبات الكهربائية الصينية سيارات أكثر بكثير مما يمكنها بيعه في العام الماضي.

وفي الوقت نفسه، زادت صادرات المركبات الكهربائية من الصين ـ بما في ذلك العلامات التجارية الأجنبية ـ بمقدار 160 ضعفاً من عام 2019 إلى عام 2023، مما أثار مخاوف من «الطاقة الزائدة».

وتشير البيانات الأخيرة إلى أن الصين تشهد نمواً هائلاً بنسبة 28 في المائة على أساس سنوي في مبيعات المركبات الكهربائية، متجاوزة بسهولة جميع الدول الأخرى، وأن ستة من كل عشر مركبات كهربائية تباع في جميع أنحاء العالم يتم تصنيعها في الصين.

بالنسبة للكثيرين، هذه إنجازات استثنائية، ليس فقط من حيث الأعداد الهائلة من المركبات الكهربائية التي تصدّرها الصين ولكن أيضاً للتأثيرات الإيجابية التي ستخلّفها العديد من المركبات الكهربائية على الطرق في جميع أنحاء العالم على إضفاء اللون الأخضر على الكوكب.

ومع ذلك، لم يتقبل الجميع هيمنة الصين على سوق المركبات الكهربائية العالمية بحجة «فائض الطاقة الإنتاجية». فقد أعلن الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة وكندا فرض تعريفات جمركية على المركبات الكهربائية المصنوعة في الصين، فيما عارض المسؤولون الصينيون بشدة هذه الحواجز التجارية، وهو الأمر الذي وصفته بعض الصحف بأنه «حرب تجارية».

ففي الرابع عشر من مايو (أيار)، أعلن الرئيس الأميركي جو بايدن أن الولايات المتحدة ستفرض تعريفات جمركية بنسبة 100 في المائة على واردات المركبات الكهربائية المصنوعة في الصين. وجاء في إحاطة رسمية للبيت الأبيض في حينه: «سوف يرتفع معدل التعريفات الجمركية على المركبات الكهربائية بموجب المادة 301 من 25 في المائة إلى 100 في المائة في عام 2024»، مبرراً هذه الخطوة بالإشارة إلى «الإعانات الشاملة والممارسات غير السوقية» التي تؤدي إلى مخاطر كبيرة من فائض الطاقة" التي دفعت صادرات الصين من المركبات الكهربائية بنسبة 70 في المائة من عام 2022 إلى عام 2023، وبالتالي فإنها «تعرض الاستثمارات الإنتاجية في أماكن أخرى للخطر». وفي الوقت نفسه، سيرتفع معدل التعريفات الجمركية على بطاريات «الليثيوم أيون» للسيارات الكهربائية وأجزاء البطاريات من 7.5 في المائة إلى 25 في المائة هذا العام، في حين سيرتفع معدل التعريفات الجمركية على بطاريات «الليثيوم أيون غير» للسيارات الكهربائية من 7.5 في المائة إلى 25 في المائة في عام 2026، وفق موقع «ذي إنترناشونال بانكر».

وتصر إدارة بايدن على أن الرسوم الجمركية على المركبات الكهربائية مصممة لحماية مصنعي المركبات الكهربائية الأميركيين من الواردات الصينية الأرخص.

في المقابل، يقدم المرشح الرئاسي الرئيس السابق دونالد ترامب وحلفاؤه في الحزب الجمهوري رسائل متضاربة حول ما إذا كانوا يريدون للولايات المتحدة أن تتنافس فعلياً مع الصين في سوق السيارات العالمية.

وردًا على ذلك، وصفت صحيفة «غلوبال تايمز»، وهي وسيلة إعلامية حكومية صينية، التعريفات الإضافية بأنها «تصعيد كبير آخر في حملة واشنطن التي استمرت لسنوات عديدة وغير مدروسة لقمع الصناعات الصينية الناشئة التي تكتسب شهرة عالمية» وأن «الخطوة ذات الدوافع السياسية لن توقف صعود الصناعات الصينية ذات الصلة».

الاتحاد الأوروبي على الخطى

وسار الاتحاد الأوروبي على خطى الولايات المتحدة، مما يؤكد مدى ارتباط أوروبا بالسياسات الاقتصادية الأميركية. فبعد حوالي شهر من إعلان بايدن، نُشرت نتيجة تحقيق الاتحاد الأوروبي الذي كان بدأ في أكتوبر (تشرين الأول)، حيث خلصت المفوضية الأوروبية إلى أن «سلسلة قيمة المركبات الكهربائية التي تعمل بالبطاريات في الصين تستفيد من الدعم غير العادل، مما يتسبب في تهديد الضرر الاقتصادي لمنتجي المركبات الكهربائية التي تعمل بالبطاريات في الاتحاد الأوروبي».

وشرع الاتحاد الأوروبي في فرض تعريفات جمركية على واردات المركبات الكهربائية الصينية والتي دخلت حيز التنفيذ في 4 يوليو (تموز)، تتراوح على الشركات المصنّعة الفردية من 17.4 في المائة إلى 37.6 في المائة، بالإضافة إلى رسوم جمركية قائمة بالفعل بنسبة 10 في المائة على جميع المركبات الكهربائية المستوردة من الصين. وأكدت المفوضية الأوروبية أيضاً أنه «سيتم فرض تدابير نهائية في غضون 4 أشهر بعد فرض الرسوم المؤقتة».

...وكندا أيضاً

وعلى غرار الولايات المتحدة، أعلنت كندا أنها ستفرض تعريفات جمركية بنسبة 100 في المائة على واردات السيارات الكهربائية الصينية، كما أعلنت عن تعريفات جمركية بنسبة 25 في المائة على واردات الصلب والألمنيوم من الصين.

وتعد الصين ثاني أكبر شريك تجاري لكندا رغم أنها تتخلف كثيراً عن الولايات المتحدة. وتظهر البيانات من أكبر ميناء في كندا في فانكوفر أن واردات السيارات من الصين قفزت بنسبة 460 في المائة سنوياً في عام 2023 عندما بدأت «تسلا» في شحن السيارات الكهربائية المصنّعة في شنغهاي إلى كندا.

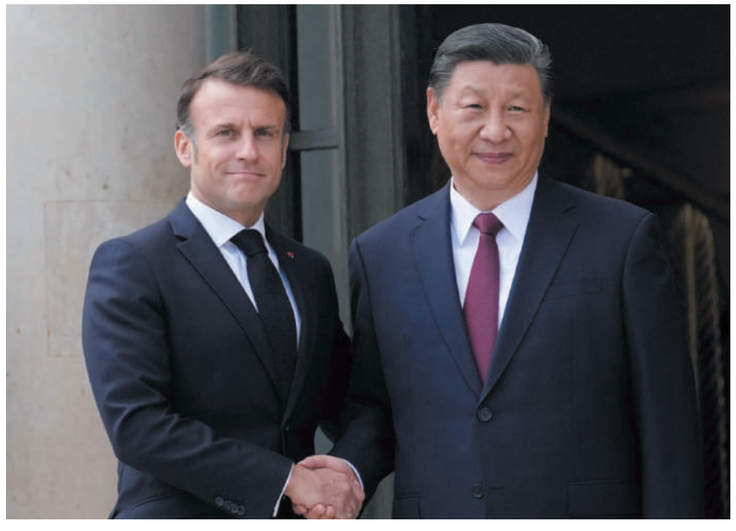
اللقاء بين الرئيسين الصيني والفرنسي في مايو الماضي

الصين... و«المنافسة العادلة»

وفي حين يصر الغرب على أن سياسات الصين التجارية للسيارات الكهربائية غير عادلة، مع اتهامات الإفراط في الإنتاج و«فائض الطاقة الإنتاجية»، تزعم بكين أن صادراتها المتنامية هي نتيجة للمنافسة العادلة، وأن الطلب على منتجاتها عالية الجودة يتزايد بشكل كبير وأن منتجاتها الخضراء ضرورية لمكافحة تغير المناخ العالمي.

وظهرت تقارير تفيد بأن الرئيس الصيني شي جينبينغ أبلغ الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون ورئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا فون دير لاين خلال زيارته لفرنسا في أوائل مايو (أيار) أنه لا توجد مشكلة فائض في الصين وأن المشكلة «غير موجودة سواء من منظور الميزة النسبية أو في ضوء الطلب العالمي». وسلّط الرئيس الصيني الضوء على أن هيمنة صناعة الطاقة النظيفة في الصين ـ والتي تمثلها إلى حد كبير المركبات الكهربائية والطاقة الشمسية وتكنولوجيا الرياح ـ لن تؤدي فقط إلى زيادة العرض العالمي وتخفيف ضغوط التضخم العالمي، بل ستفعل الكثير أيضًا لدعم التحول الأخضر للكوكب، وفقًا لوسائل الإعلام الصينية.

وبحسب «غولدمان ساكس»، ستصنع الصين 27 مليون سيارة ركّاب عام 2024 ومن المتوقع أيضاً أن ترتفع الصادرات هذا العام بنسبة 25 في المائة إلى أكثر من 5.3 ملايين سيارة.

ومع توقع مثل هذا النمو الهائل لصناعة السيارات الكهربائية في الصين، يتساءل كثيرون عن المنطق وراء التعريفات الجمركية، بحجة أنها نقيض لمنطق التجارة الحرة التي اعتاد الغرب على الدفاع عنها، وستحرم الأميركيين من فرص شراء المنتجات الخضراء بأسعار معقولة.

في الوقت نفسه، وفقاً لمركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، يتعين على الغرب أن يبذل المزيد من الجهود لتعزيز صناعته المحلية للسيارات الكهربائية بدلاً من التركيز على محاولة إبطاء الآخرين.

وأشار مركز الأبحاث الأميركي في تحليل نُشر في 28 يونيو (حزيران) إلى أنه "حتى لو كان الشعور بالظلم بشأن السياسة الصناعية الصينية ومخاوف الأمن القومي مبرراً، فإن الدول الغربية بحاجة إلى تحديد ما إذا كان الهدف هو إبعاد المنتجين الصينيين عن الأسواق الغربية تماماً أو الحفاظ على نوع من الصناعة العالمية، مع تمكين المنتجين الصينيين والغربيين من الوصول إلى أسواق بعضهم البعض طالما أنهم يستوفون معايير معينة فيما يتعلق بالمنافسة العادلة والأمن القومي». وقال «إذا لم تكن الإجابة هي الفصل الصريح، فلن تحتاج الدول الغربية إلى وضع معايير مشتركة فحسب، بل ستحتاج في مرحلة ما إلى التفاوض على إطار مستدام مع الصين».

السؤال الذي يتردد في أذهان كثيرين الآن هو ماذا سيحدث بعد ذلك. فهل ستكون سياسة الحمائية التجارية محور الاهتمام في السنوات المقبلة؟■

مستقبلات

البروفسور مازن الرمضاني*

دراسات المستقبلات ومقاربات الإنجاز (2)
المقاربات المعيارية

في مقال الشهر الماضي تناولنا المقاربات الموضوعية في شقها الاتجاهي المستخدمة في دراسات المستقبلات . في هذا المقال سنتناول الشق الثاني من هذه المقاربات، أي تلك المعيارية.

وعلى خلاف المقاربات الموضوعية الاتجاهية التي تعمد إلى اسقاط الماضي على المستقبل وتذهب إلى التنبؤ بمستقبل احادي المشهد، تذهب المقاربات الموضوعية المعيارية إلى استشراف المشاهد البديلة والمتنوعة للمستقبل انطلاقا من معطيات الحاضر. وتتعدد هذه المقاربات. ولعل أبرزها واكثرها انتشارا بين المستقبليين في العالم، هي مقاربة بناء المشاهد. في ادناه سنتناولها بشيء من التفصيل. تعود الجذور التاريخية لهذه المقاربة إلى القرن التاسع عشر، وإلى كتابات مفكرين وقادة عسكريين مثل البروسي كارل فون كلاوزفيتز (Karl von Clausewitz-1831-1780)، إلا أن تاريخ الاخذ بمفهوم المشهد في دراسات المستقبلات يقترن بخمسينيات القرن الماضي. ويتكرر القول إن المستقبلي الامريكي، هيرمان كان (Herma Khan ،1983-1922)، كان اول من أدخل هذا المفهوم إلى الدراسات الامريكية ذات الابعاد العسكرية ـ الاستراتيجية عندما كان ضمن مجموعة الباحثين في مؤسسة راند الامريكية.

بيد ان هذا المفهوم لم يأخذ بالانتشار إلا بعد ابتكار الفرنسي، غوستاف برغيه (Gustavo Berger) في عام 1964 لمفهوم المستقبل المنظور (la prospective) فهذا المفهوم الذي لا يؤكد على مجرد انفتاح المستقبل على العديد من المشاهد فحسب، وإنما يتضمن رؤية المستقبل كتعبير عن رغبات ومشاريع واحلام الإنسان، ومن ثم إدراكه كحصيلة للفعل الإنساني الهادف إلى تحقيق المستقبل المنشود. وقد أصبح هذا المفهوم إحدى الركائز الاساسية للمدرسة الفرنسية في دراسات المستقبلات.

وكما أن هيرمان كان قد عُد أول من أدخل مفهوم المشهد إلى الدراسات الامريكية، كذلك كان أول من نقل رؤية غوستاف برغيه إلى دراسات المستقبلات. وقد تجسد ذلك في كتابه: نحو عام 2000 الصادر عام 1967. ففيه رأى أن مقاربة بناء المشاهد هي خير اداة تتيح للإنسان التفكير بما لا يُصار إلى التفكير فيه Thinking About the Unthinkable.

ومنذ بداية توظيفها في دراسات المستقبلات، ومقاربة بناء المشاهد تجد انتشارا متسارعا بين مستقبليين يتوزعون على شتى حقول المعرفة، فضلا عن استخدامها، ولأغراض متعددة، من قبل مؤسسات رسمية وأخرى خاصة: مالية وتجارية، وكذلك من قبل منظمات حكومية وغير حكومية، ومن ضمن الاخيرة شركات متعدية الجنسيات. وتُعد شركة شل النفطية الاقدم من بين هذه الشركات توظيفا لهذه المقاربة. إذ يعود تاريخ هذا التوظيف إلى ما قبل أزمة الحظر النفطي في عام 1973. وقد سبق لمدير هذه الشركة، في وقته، بيان السبب الكامن وراء تبني هذه المقاربة، قائلا: "... لقد علمتنا التجربة أن تكنيك السيناريو (هو) أكثر فاعلية في ارغام الناس على التفكير في المستقبل من اساليب التنبؤ..."

وقد أدى انتشار هذه المقاربة عبر الزمان إلى مخرجات أفضت إلى ترصين أسسها ومنطلقاتها النظرية، فضلا عن تطوير إجراءاتها المنهجية. إن هذا التطور المهم شجع على توظيفها من قبل العديد من المستقبليين في عالمي الشمال والجنوب. ومن هنا يذهب المستقبلي الأمريكي الرائد، ويندل بِل، إلى القول إن هذه المقاربة صارت بمثابة القاسم المشترك بين العديد من دراسات المستقبلات، الامر الذي جعلها بمثابة الالية التي أدت بهذه الدراسات إلى الاقتران بنوع من الوحدة المنهجية.

وعندنا، يعود الانتشار العالمي لمقاربة بناء المشاهد إلى تأثير مجموعة الخصائص التي تتميز بها، ولاسيما تلك التي تتعلق، بدالتها، وغايتها المباشرة، وانواعها.

فإما عن دالتها، فهذه المقاربة، وإن تتعدد الرؤى بشأن معناها، بيد أن هذا الواقع لا يلغي أن جلها تأخذ، على الرغم من الصياغات اللغوية المختلفة، بمضمون متماثل تقريبا يُفيد أن مقاربة بناء المشاهد ليست معنية بتقديم تنبؤ جازم بالمشهد الذي سيقترن به المستقبل، وإنما بتقديم وصف لكيفية تبلور المشاهد المتعددة والبديلة له، وبضمنه المسار الذي يفضي إلى هذه المشاهد، كلا على انفراد.

فمثلا يؤكد المستقبلي الفرنسي، ميشيل غوديه، أن المشهد هو "وصف لحالة مستقبلية (تتحرك) من وضعية اولية (سواء كانت في الماضي أو الحاضر) إلى وضعية أخرى مستقبلية.

ولا تختلف رؤى عربية في شأن دالة هذه المقاربة عن سواها. فمثلا، يرى، على الدين هلال، أن المشهد هو: «...إدراك ذهني وفكري لمجموعة من الحالات المتوقعة أو الممكنة لمسيرة ظاهرة ما (وإنه يتأسس) على مجموعة من التنبؤات المشروطة (مفادها) ماذا يمكن أن يحدث لو أن ثمة شروط (مسبقة) قد تحققت».

إما عندنا، فالمشهد هو حصيلة اجتهاد علمي مشروط يعمد إلى توظيف العلم والخيال سبيلا لوصف كيفية بلورة المشاهد البديلة لمستقبل موضوع الاهتمام في زمان محدد لاحق، انطلاقا من وضع ابتدائي مفترض، اعتمادا على حقائق الماضي ومعطيات الحاضر المرئية والمحتملة.

وجراء خاصية انفتاحها على مشاهد متعددة، ومن ثم افتقار كل منها بقصة مختلفة تماما عن سواه من حيث المضمون والهيكلية والتداعيات، جاءت عناوين الدراسات التي تنطلق من مقاربة بناء المشاهد وهي تحمل صيغة الجمع (مستقبلات) وليس صيغة المفرد (مستقبل). ومرد ذلك، وكما تؤكد المستقبلية الأمريكية الجنوبية، ماسيني، أن هذه المقاربة تُعد بمثابة التطبيق العملي لتلك الفكرة التي ترى أن المستقبل يتميز بانفتاحه على العديد من المشاهد البديلة. ومن هنا تعد بمثابة النقيض للفكرة التي تتأسس عليها المقاربة الاتجاهية، التي تفترض أن المستقبل ليس إلا امتدادا خيطيا لمعطيات الماضي والحاضر.

وإما عن غايتها المباشرة، فمقاربة بناء المشاهد تتميز في أنها تسعى إلى تحقيق غاية محددة. وحول مضمونها لا تختلف الآراء في العموم. فمثلا ترى، ماسيني، إنها «... تكمن في استشراف المشاهد البديلة للمستقبل». إما المستقبلي الأمريكي، إدوارد كورنيش، فهو يؤكد أنها تتمحور حول «...صياغة المستقبل وتشكيله». وغني عن القول إن انجاز هذه الغاية يفضي بالضرورة إلى انجاز غايات غير مباشرة. ولعله من بين أبرزها.

إما عن انواعها، فالرؤى متعددة. وتكفي الإشارة إلى رؤيتين منها، والاكثر انتشارا. فإما عن الرؤية الاولى، فهي تلك التي تأخذ برؤية ثنائية. فمثلا ترى، ماسيني، أن تطبيقات هذه المقاربة تشير إلى أنها تتوزع إلى مستويين. فهي أما مقاربات استطلاعية /استكشافية تسعى إلى استشراف مشاهد المستقبل الممكن و/أو المحتمل انطلاقا من الاتجاهات والمعطيات التي يتميز بها زمان الحاضر، وهي أما مقاربات معيارية /استهدافية تجعل من استشراف المستقبل المرغوب فيه، جوهرها الاساس انطلاقا من أهداف محددة مسبقا ومرغوب فيها.

وإما عن الرؤية الثانية فهي تلك التي تؤكد على ثلاثية اهتماماتها. فمثلا انطلقت المستقبلية السويدية، لينا بورجيسون (Lina Borjeson)، من ثلاثة اسئلة، هي: ما الذي سيحدث؟ وما الذي يمكن أن يحدث؟ وكيف يمكن تحقيق شيء مرغوب فيه مستقبلا؟، ومن ثم عمدت، وحسب تسلسل هذه الاسئلة، إلى تصنيف مضامين هذه المقاربة إلى مضامين تنبؤيه (Predictive)، واستكشافية (Explorative)، ومعيارية / استهدافية Normative

وفي ضوء دالتها وغايتها وأنواعها، نرى أن تطبيق مقاربة بناء المشاهد، وبكفاءة عالية، يتطلب كسواها توافر ثمة شروط مهمة وكالاتي:

أولا، معرفة دقيقة بحقائق ماضي البيئة التي تحتضن موضوع الاستشراف، فضلا عن معطيات حاضرها.

ثانيا، تشخيص دقيق لتلك المتغيرات، التي تفضي إلى إحداث تحول مهم في مسار تطور الحاضر باتجاه المستقبل، ولاسيما المتغيرات المرئية وغير المرئية، ولاسيما المحتملة منها.

ثالثا، مهارة عالية في شأن كيفية توظيف الاليات (الإجراءات) المنهجية التي تتميز بها هذه المقاربة.

ويُفيد الواقع الراهن لمقاربة بناء المشاهد اقترانه برؤى مُتعددة لكيفية تطبيقها عمليا. ولان المجال لا يتسع لتناولها، سنكتفي بما نراه من خطوات شكلية وإجرائية ذات علاقة بهذا التطبيق، وكالاتي:

فإما عن الخطوات الشكلية فهي تكمن في خطوتين فرعيتين أساسيتين ومتكاملتين:

تنصرف الخطوة الاولى إلى تحديد موضوع الاستشراف، ومجاله الجغرافي، وأفقه الزماني، علما أن تحديد مضمون هذه الخطوة يدخل ضمن مسؤولية الجهة الراعية للاستشراف. ونرى أن تحديد الموضوع يشكل أحد أهم الخطوات التي ينبغي القيام بها، سيما وإنه يشكل صلب مجمل عملية الاستشراف وغايتها. وإما عن المجال الجغرافي، فتطبيقات هذه المقاربة تشير إلى أنه يتوزع على أربعة مستويات مختلفة: عالمية، إقليمية، فضلا عن مستوى الدولة وكذلك مستوى دون الدولة، أي الخاص بهياكلها الرسمية وأو غير الرسمية أما الخطوة الثانية فقوامها تشكيل فريق العمل الذي يتولى مهمة إنجاز عملية الاستشراف أساسا. وغني عن القول إن كفاءة الإنجاز تتطلب تشكل فريق العمل من مستقبليين محترفين ومن مختلف الاختصاصات ذات العلاقة المباشرة بموضوع الاستشراف. وبدورهم يقوم هؤلاء باختيار المنسق من بين اعضاء الفريق لإدارة مختلف نشاطاته، فضلا عن اختيار عدد من الباحثين المساعدين، ولاسيما اولئك الذين لتخصصاتهم العلمية علاقة مباشرة بهذا الموضوع. وتكمن وظيفة هذا الفريق ثلاثيا في: أولا إعداد وصياغة واقتراح المشاهد الاولية، وثانيا فحص المشاهد المقترحة وبضمنه كشف نقاط قوتها وضعفها سبيلا لاختيار عدد محدد منها، وثالثا مناقشة المشاهد المقترحة واقرارها.

وإما عن الافق الزماني لمقاربة بناء المشاهد، فتطبيقاتها تفيد أيضا أن توظيف هذه المقاربة وإن يقترن بأزمنة متعددة، إلا أن زمان المستقبل المتوسط: عشرون عاما من زمان سابق محدد إلى عشرين عاما. هو الاكثر توظيفا.

وإما عن الخطوات الإجرائية، فتجدر الإشارة أولا إلى أن مقاربة بناء المشاهد تجمع بين ثلاث مقاربات: كيفية، وكمية، وتكاملية. فإما عن الاولى، فهي تأخذ بالحدس وقدرات التصور، والخيال، والعصف الذهني. وإما عن الثانية، فهي تنطلق من المقاربات الكمية عموما ومقاربة النمذجة خصوصا. وإما عن الثالثة، فهي تجمع بين هاتين المجموعتين من المقاربات. وتجدر الإشارة إلى أن المقاربة الثالثة هي الاجدى، سيما وإنها تتيح الاستفادة من ايجابيات المقاربات الكيفية والكمية في آن.

وعندنا تكمن هذه الخطوات الاجرائية في خمس خطوات متفاعلة، وكالآتي:

فإما عن الخطوة الاولى، فهي تقترن بتحديد الوضع الابتدائي لعملية بناء المشاهد. وتفيد تطبيقات هذه العملية أنها تبدأ عادة أما من زمان الماضي، أومن زمان الحاضر، أو من زمان افتراضي. وتنطوي أو طبيعة المقاربة المستخدمة في هذه العملية على تأثير مهم في تحديد المعطيات المؤثرة في تشكيل هذا الوضع الابتدائي. وهذه المقاربة قد تكون استطلاعية أو معيارية وبمخرجات مختلفة. فبينما تنصرف المقاربة الاستطلاعية إلى ربط هذا الوضع بالاتجاه الذي تفرزه معطيات موضوعية ممتدة عبر الزمان، تذهب، بالمقابل، المقاربة المعيارية إلى رؤية هذا الوضع كحصيلة للجهد الرامي إلى البحث، في زمان الحاضر، عن تلك المعطيات التي تفضي لاحقا إلى صناعة المستقبل المرغوب فيه.

وفي العموم يتم تحديد هذا الوضع من خلال إجراء مسح شامل لبيئة موضوع الاستشراف، في أزمنة الماضي والحاضر، تمهيدا لإنجاز ثلاثة أغراض مهمة، هي:

أولا، تحديد عموم تلك المتغيرات الداخلية والخارجية المؤثرة، سلبيا أو إيجابيا، في مستقبل موضوع الاستشراف، وكذلك اتجاهاته العامة، فضلا عن تحديد المتغيرات غير المرئية في الحاضر، المسماة Wild Card او Black Swan.

ثانيا، تصنيف هذه المتغيرات على وفق معيار أهمية تأثيرها الموضوعي، كأن يكون عاليا، أو متوسطا أو منخفضا، فضلا عن تحديد مدى يقينية هذا التأثير، سيما وأن هذه المتغيرات قد تكون عالية التأثير واليقين معا، أوقد تكون عالية التأثير، ولكن منخفضة اليقين، أوقد تكون أيضا ضعيفة التأثير واليقين معا. إن المهم هو الكشف عن تلك المتغيرات عالية التأثير واليقين.

ثالثا، دراسة التفاعلات البينية للمتغيرات الأكثر تأثيرا ويقينا وتحديد مخرجاتها.

وإما عن الخطوة الثانية، فهي تتأسس على مخرجات إجراءات المسح الشامل البيئي للمتغيرات، عالية التأثير واليقين، سبيل البلورة عدد من الافتراضات ذات علاقة بكيفية الانتقال من الوضع الابتدائي إلى الوضع المستقبلي لموضوع الاستشراف، هذا انطلاقا من تساؤل مركب، هو: كيف ستكون مستقبلات هذا الموضوع في الزمان (س)، لو أن معطيات الحاضر استمرت ممتدة إلى المستقبل، أو أنها استجابت لقانون التغيير، أو أنها جمعت، في الوقت ذاته، بين مخرجات الاستمرارية والتغيير؟

وإما عن الخطوة الثالثة، فهي تنصرف، وعلى وفق نوعية الإجابة عن السؤال المركب في أعلاه، إلى أعداد صياغات أولية، وبمضامين مختلفة، لعدد من المشاهد البديلة ذات العلاقة المباشرة بمستقبلات موضوع الاستشراف. ويفترض في هذه الصياغات أن تفضي إلى مشاهد تقترن بخصائص محددة، أبرزها: أن تكون، ممكنة التطبيق، ومختلفة عن سواها, وأن تتميز بدرجة عالية من الاتساق الداخلي. وإما عن الخطوة الرابعة، فهي تكمن في تقليص عدد هذه المشاهد الاولية، من خلال المقارنة فيما بينها، ومن ثم اختيار تلك التي تتماهى مع الشروط التي تفضي إلى تميزها بالإبداع والابتكار. وعلى الرغم من تباين الرأي بشأن طبيعة هذه الشروط، نرى أن تصنيف المستقبلية، حنا كوزوف، لهذه الشروط هو الادق. فعندها تكمن هذه الشروط في: المعقولية، والثبات، سهولة الفهم، والوضوح، وأخيرا الشفافية. .

وتُشير تطبيقات هذه المقاربة إلى أتجاه العديد من المستقبليين نحو تفضيل حصر مشاهد المستقبل الناجمة عنها بثلاثة منها. وقد سبقت الإشارة إلى أن مبتكر مقاربة بناء المشاهد، هرمان كان، قد اخذ بفكرة ثلاثية المشاهد البديلة لمستقبل العالم. ويتبنى اخرون هذه الفكرة أيضا، ومن بينهم مستقبليون عرب. فمثلا عمد خير الدين حسيب واخرون في دراسته الرائدة: مستقبل الامة العربية. التحديات والخيارات، هو الاخر، إلى الاخذ بفكرة ثلاثية المشاهد. فانطلاقا من معيار شكل العلاقة بين الاقطار العربية تم بلورة ثلاثة مشاهد بديلة للوطن العربي في عام 2015، هي: المشهد الاتجاهي، والمشهد الاصلاحي، واخيرا مشهد الوحدة العربية.

ونرى أن الأخذ بفكرة ثلاثية المشاهد يعدُ سليما، هذا ليس فقط لإنها تتماهى مع انفتاح المستقبل على شتى المشاهد، وإنما لإنها تساعد أيضا على عقد مقارنة مثمرة بين التباينات التي تتميز بها هذه المشاهد، فضلا عن أنها تُسهل الارتقاء بالاستجابة إلى مستوى تحدي بناء على مشاهد تتميز بالأبداع والابتكار. ونحن ايضا نأخذ في دراساتنا للمستقبلات بفكرة ثلاثية المشاهد. ونرى أنها تكمن في مشاهد الاستمرارية، والتغيير، والاستمرارية، والتغيير معا. ومؤلفنا تحت الاعداد: مستقبلات الوطن العربي في عام 2050 ثلاثة مشاهد بديلة، يتماهى مع هذه الفكرة.

وإما عن الخطوة الخامسة، فهي تلك، التي تنصرف إلى إنجاز الصياغة اللغوية السردية للمشاهد المستقبلية، الممكنة و/أو المحتملة و/أو المرغوب فيها و/أو سواها، التي افضت اليها حصيلة الخطوات الإجرائية السابقة..

وإما عن الخطوة السادسة، والاخيرة، فهي تكمن في اقتراح تلك الاستراتيجيات، التي يفترض أن تفضي مخرجات تطبيقها إلى تأمين الوصول إلى نقطة بداية كل من هذه المشاهد، فضلا عن التحكم في تداعياته اللاحقة. ولا تقتصر هذه الخطوة على ما تقدم: اقتراح الاستراتيجيات فحسب، وإنما قد تمتد لتشمل في احيان، ولاسيما عند فشل هذه الاستراتيجيات، إعادة النظر فيها مجددا، ومن ثم تبني أخرى سبيلا لتحقيق المستقبل المنشود ذاته.

وكسواها، تتميز مقاربة بناء المشاهد بإيجابيات ولا تخلو من السلبيات. فإما عن الإيجابيات فهي عديدة، ومنها مثلا أنها تقدم لصناع القرار رؤى وصفية وتحليلية لما قد يقترن به المستقبل من مشاهد ممكنة و/أو محتملة، فضلا عن مساعدته على بلورة تلك الخطط والسياسات التي تتوافر على قدرة التعامل مع مشاهد المستقبل بشفافية وكفاءة عالية. ■

---

* استاذ العلوم السياسية الدولية ودراسات المستقبلات

لكلِّ مقامٍ...

تقرير عن تفاهة الشرّ

العنوان أعلاه يحيلنا حتمًا إلى الفيلسوفة والمنظّرة السياسيّة العلمانيّة الألمانيّة الأميركية حنة آرنت (Hannah Arendt 1906 - 1975)، فيلسوفة «الشرّ»، في البعد النقديّ التفكيكيّ للمصطلح. لكنّه لا يندرج، حكمًا، في قراءة لكتابها «أيخمان في القدس، تقرير عن تفاهة الشر»، الذي صدّر عام 1964. هي من أطلقت مصطلح "تفاهة الشرّ" كمحاولة لفهم الأسباب الحقيقية وراء الشرّ الإنساني، لتخلص إلى أن الإنسان يصبح شريرًا عندما يرفض أن يفكّر. تَنطبق هذه الخلاصة على «كومبارس» عصرنا في عالم الشرّ، ولا تنطلي، بالضرورة، على أبطاله وهم يمجّدون الشرّ ويسبّحونه ويقيمون له طقوسًا ابتهاليّة طمعًا في رضاه وبركته.

قصدت صاحبة «الحب والقديس أوغسطين، 1929» بمصطلح «تفاهة الشر»، أن الأفعال الشرّيرة قد تصدر عن أشخاص لا دافع لهم، سوى أنهم لا يتمكّنون من التفكير، أو يرفضون التّفكير أصلًا، وبالتالي يصبح الشّخص شرّيرًا عندما يرفض أن يفكّر. مثالها على ذلك، أنّ المنظّم الرئيسيّ للهولوكوست كان رجلًا عاديًا للغاية، اعتمد على الكليشيهات الفكرية لتبرير جرائمه ضدّ الإنسانية، وأنّه كان يمتثل للقوانين لا غير.

كثرٌ هم من يمتثلون للقوانين في عالمنا اليوم، من دون عناء التّفكير أو حتّى التّفكير بالتّفكير، فيتحوّلون أشرارًا من زمرة الـ «بروتوتيب» الرّائج كـ «تراند» في مشهد عالميّ يمجّد الشرّ الذي ينتمي إليه ملايين، صدفةً أو جهلًا، أم عن وعي تام وإرادي. عولمة تجعل العالم يعيش اليوم تحت إمرة زمن عالميّ واحد، أو في ما سمّاه الكاتب والمعماريّ الفرنسيّ بول فيريليو (Paul Virilio 1932-2018)، «البيئة الرّماديّة» التي «تحتضن ضياع الكائن، وتؤدّي إلى العيش في العوالم الافتراضيّة والتّمثّلات التّكنولوجيّة وأنماط رؤيتها»، في مفهومه عن الاستبدال والتّزييف أو المحاكاة.

انتقلت المحاكاة إلى مفهوم «الشرّ» الجديد الذي لم يعد مقتصرًا على «الوصايا العشر» المتمثّلة بنبذ الشّرور برؤية دينيّة لاهوتيّة، متجاوزًا «الشّرور» التقليديّة إلى أخرى مبتكرة تُوائم الاندفاعة البشريّة بعيداً من إيقاعها التّاريخيّ «الشّرير»، إلى آخر أشدّ شرًا، وإلى شرّ أكثر حداثةً، وإلى تطوّر جاذب للشّرور ومنظّر لها، عبر مغريات سحريّة وأدوات متمكّنة من بثّها ونشرها وتضمينها في أكثر أمور الحياة بساطةً. ما يؤدّي إلى هيمنتها سريعًا على عالم تتسيّد السّرعة على أنماطه، وتكرّس تزييفًا لطرائق تَمثّله ورؤيته للكون والوجود. ما يؤدّي إلى «تدمير لاندماج الإنسان في الزمان والمكان» يقول أيضًا بول فيريليو.

«التقدّم والكارثة وجهان لعملة واحدة» بالعودة أخيرًا إلى قول لـ «آرنت»، والكارثة يمثّلها شرٌ بات عنوانًا للعصر، فكيف بالحريّ إذا كان «لا شرّ في الكون إلا ما يفعله الإنسان» على ما قال يومًا جان جاك روسو؟ ■

ماجدة

مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي الـ 31

■ احتضن المسرح الكبير في دار الأوبرا المصرية، الدورة الحادية والثلاثين (دورة علاء عبد العزيز) لـ «مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي» التي عقدت على مدى 10 أيام من 1 حتى 11 أيلول/سبتمبر 2024 ويعد المهرجان أحد أقدم المهرجانات الدولية المتخصصة في إعطاء الفرصة لتقديم العروض المسرحية التجريبية من كل دول العالم.

شاركت فيه 10 عروض مسرحية أجنبية و13عرضًا عربيًا، و3 عروض مصرية. والعروض هي من البرازيل وهولندا واليونان وألمانيا وإسبانيا ورومانيا والمجر والهند ولبنان وسوريا والأردن والمغرب وتونس والعراق وسلطنة عمان والسعودية والإمارات والكويت ومصر وفلسطين. كما شهد المهرجان، إلى جانب العروض، سبع ورش تدريبية في فنون المسرح، وجلسات نقاشية مع متخصصين عرب وأجانب، إضافة إلى سلسلة من الندوات ضمن المحور الفكري الذي يتناول (المسرح وصراعات المركزيات).

جائزة لجنة التحكيم الخاصة لعرض صدى جدار الصمت

ملصق المهرجان

واحتفى المهرجان بمضيّ ثلاثة عقود على إقامته مفتتحًا فعالياته بعرض إنتاج مشترك بين وزارة الثقافة ممثلة في دار الأوبرا وبين المهرجان برئاسة الكاتب والأكاديمي سامح مهران، بعنوان «صدى جدار الصمت» لفرقة الرقص المسرحي الحديث من إخراج وليد عوني. تناول العرض معاناة سكان الأراضي الفلسطينية بسبب الجدار العازل الذي أقامته إسرائيل، من خلال لوحات تعبيرية شكل فيها الديكور وتسجيلات الفيديو مع مقتطفات من أغاني الفنانة اللبنانية فيروز أدوات السرد الرئيسية.

وفي كلمته في الافتتاح قال وزير الثقافة الدكتور أحمد فؤاد هنو: «نلتقي اليوم من قلب القاهرة النابض بالحياة، حيث يعود مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي ليضيء سماء العاصمة بالإبداع، ويفتح لنا نافذة على عوالم جديدة من الخيال والفن، لنحتفي بأكثر من ثلاثة عقود من مهرجان رائد ومتفرد، فهو مرآة تعكس روح الإبداع، حيث تتحد الحداثة مع التراث، وتلتقي التجربة بالتقليد، ليولد من هذا الاندماج فن جديد، ولغة مختلفة للتعبير».

الإماراتي إسماعيل عبد الله الذي اختير «شخصية الدورة»، وشهد حفل الافتتاح تكريم 12 شخصية مسرحية عربية وأجنبية، من بينها الكاتبة السعودية ملحة عبد الله والممثل العراقي ميمون الخالدي والناقد البحريني يوسف الحمدان والممثل المصري محمود حميدة. وفي حفل ختام هذه الدورة من المهرجان، عرض فيلم قصير بعنوان /هنا التجريبي/، فكرة وإخراج المخرج المصري محمد فاضل القباني.

مهرجان صيف الزرقاء المسرحي العربي في الأردن

■ برعاية وزيرة الثقافة الأردنية هيفاء النجار، أقيمت الدورة الثانية والعشرون من «مهرجان صيف الزرقاء المسرحي العربي» 2024، الذي تنظمه فرقة «الزرقاء للفنون المسرحية» بالتعاون مع وزارة الثقافة ومجلس محافظة الزرقاء وهيئة تنشيط السياحة وأمانة عمان الكبرى ونقابة الفنانين الأردنيين، على مسرح حبيب الزيودي في مركز الملك عبد الله الثاني الثقافي/ الزرقاء.

تضمن الافتتاح عرض المسرحية الأردنية "ليلة الأنحوتة" من تأليف وإخراج إياد الريموني. وشاركت سبع دول عربية، إلى جانب الأردن، في العروض متنافسة جميعها على جوائز المهرجان. وأُطلقت تسمية شخصيّات الدورة 22 على المسرحي العربي الفنان السوري رشيد عساف، والفنانة الأردنية شفيقة الطل وجرى تكريمهما في افتتاح المهرجان. وتشكلت لجنة التحكيم برئاسة الفنان عماد الشاعر/الاردن، وعضوية الفنان محمد المراشدة/ الأردن، والفنان مهند الهادي/العراق، والفنان قاسم اسطنبولي/ لبنان، والفنان مراد دمرجيان/الأردن.

بالإضافة إلى مسرحية "ليلة الأنحوتة"

من الافتتاح وتبدو وزيرة الثقافة هيفاء النجار.

من تأليف وإخراج إياد الريموني/الأردن، تضمن المهرجان العروض المسرحية التالية: «أيوب» من تأليف سعد هدابي وإخراج عبد الأمير الصغير من العراق. مسرحية «قد تطول الحكاية» من إعداد وإخراج يوسف الحربي من السعودية. مسرحية «المهزوز» من إخراج داوود أبو شقرة من سوريا. مسرحية «معتقلة» من تأليف شذى ياسمين وإخراج معتصم أبو حسن من فلسطين. مسرحية «مساء للموت» من تأليف باسمة يونس وإخراج عدي عمر الشنفري من سلطنة عُمان. مسرحية «الجبانة» من تأليف وإخراج عاطف كريم من الجزائر. مسرحية «لعبة النهاية» من إعداد وإخراج السعيد قابيل من مصر.

كما تخللت فعاليات المهرجان ورشة مسرحية لجيل الشباب بعنوان فن الممثل (المشخصاتي) تحت إشراف المخرج المصري أكرم مصطفى.

لبنان يكرّم «أبو ملحم» أحد رموز الأصالة والزمن الجميل

■ في بادرة أصيلة تعيد استذكار الزمن الجميل في لبنان ممثلاً بوجوه فنية وثقافية صنعت التراث الثقافي اللبناني الحديث، أقيم في باحة كنيسة القديس جاورجيوس للروم الأرثوذكس في مدينة عاليه (محافظة جبل لبنان)، احتفال إزاحة الستارة عن تمثالَي الفنانين أديب حداد وسلوى الحاج (أبو ملحم وأم ملحم)، بدعوة من البلدية والأهالي، وبرعاية الإعلام في حكومة تصريف الأعمال زياد المكاري وحضوره.

الفنان أديب حداد وزوجته سلوى الحاج رمزان من رموز لبنان الجميل، وأول من قدّم البرامج التلفزيونية على شاشة «تلفزيون لبنان» في منتصف الخمسينات، عبر برنامج «يسعد مساكم» بدورَي «أبو ملحم» و«أم ملحم»، الذي عرف شهرة واسعة بين اللبنانيين لما يمثله من قيمٍ إنسانية واجتماعية وثقافية، وجسد فيه أبو ملحم دور المرجع الطيّب والصادق وحلّال المشاكل والنّاصح والملتزم بالأخلاقيات والقيم، في برنامج امتد لأعوام طويلة أصبح خلالها أيقونة للفن الأصيل، وما زال حتى اليوم الشخصية التي يُضرب فيها المثل بالأخلاق والنزاهة وإيجاد الحلول للأمور المستعصية، كما تحتل هاتان الشخصيتان مكانة كبيرة وجميلة في الذاكرة الجمعية والوجدان اللبناني الذي تراوده دائماً نوستالجيا وحنين إلى ذلك الزمن الذي بات بعيداً ومفقوداً. وهذا ما شرحه رئيس بلدية عاليه وجدي مراد حين قال: «هما اليوم عادا إلى عاليه من بابها العريض. ومن يمرّ قرب النصب التذكاري لا بدّ أن يبتسم لا شعورياً. فهما رمزان من رموز لبنان الجميل، عندما كان العالم يتغنّى بهذا البلد النابض بالحياة والنشاطات الفنية الراقية. فأمثال (أبو ملحم) أصبحوا نادرين اليوم في بلادنا. ولذلك ستبقى ذكراهم حيّة في أذهاننا ننقلها من جيل إلى آخر».

النصبان من نحت الفنانة التشكيلية غنوة رضوان، وهما عبارة عن منحوتتين نصفيّتين لأديب حداد وزوجته، يطلّان من نافذة منزلهما على الطريق العام الذي يصل عاليه ببلدة سوق الغرب.

التمثال في عاليه

الكتابة الشعرية وانعكاساتها

إشكاليات الشعر والتعبير عن الواقع الجديد

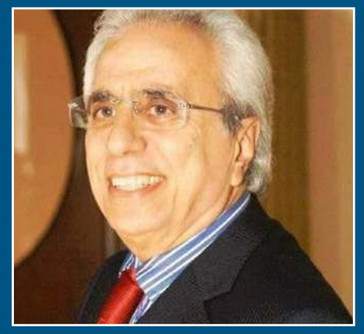
الشاعر هنري زغيب

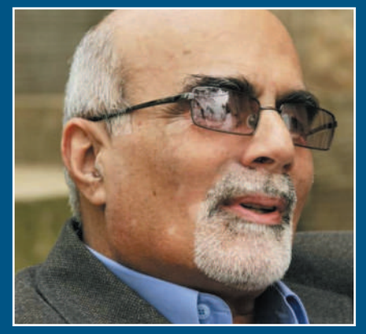
الشاعر أنطوان أبو زيد

الشاعر أحمد وهبي

الشاعر أنور الخطيب

الشاعر بلال المصري

ليندا نصار: بيروت

هناك إشكاليات عديدة تقلق الشاعر المبدع في عالمنا اليوم وتحديدًا في عالمنا العربي. وفي ظل الحرب التي بدأت في غزة وامتدت إلى لبنان، يجد الشاعر نفسه في حالة من التجريب والكتابة عن حالة وواقع جديدين.

كيف انعكس هذا الوضع على الكتابة الشعرية وما الأسئلة الجوهرية التي يطرحها الشاعر اليوم؟ وما الذي يريد تحقيقه عبر الكتابة عدا عن أنها حالة تجاوزية أو متنفس بالنسبة إليه؟

الأكاديمي والشاعر هنري زغيب

إنّ واقع الحرب لم يغيّر بي ذرّةً، لأن توجّهي هو مع الوطن لا مع الدولة. وتاليًا، ما يصيب لبنان اليوم هو بسبب الدولة الفاسدة وارتباطاتها وعجز سلطتها عن اتخاذ القرار. ما يجري في غزة أوجعُ من كل تعبير وكل وصف. لم يعرف التاريخ منذ هولاكو وجنكيزخان ونيرون ما يحصل اليوم في غزة والضفة، وهو ليس حرب إبادة بل حرب اقتلاع. هذا الاحتلال الصهيوني يريد اقتلاع شعب كامل من أرضه، وهو لن يتمكن لأنه هو الطارئ، وشعب فلسطين هو الأصيل في أرضه منذ أول التاريخ، وينال لبنان من مأساته ما لم ينفك يناله منذ 1948. تعبيري في هذه الفترة أخطُّه نثرًا لمقالاتي في «النهار». أما الشعر فلن أُغمسه في هذه الوحول.

لا أرضى لشعري بأن يكون بوقًا إيديولوجيًا ولا نصًا صحافيًا منظومًا على قواعد العروض. الشعر عندي مُنزّه عن الآنيات، ولا أقوده إليها لأن قدسيّته أعلى منها. الكتابة الشعرية لا تعكس الواقع حين الواقعُ مهولٌ كارثيٌّ لا توجعه كلمة ولا هو يسمع الشعراء. لذا أتوسّم من خلال الكتابة النثرية أن أبْلغ شعبي في لبنان فأُعبّر عن همومه بمقالاتي كي أكون أتكلم باسمه وعنه وإليه. أما الشعر فلا أُوظّفه لعنتريات مجانية أو انفعالات وصفية يتوسلها بعض الشعراء في هذه الحالات.

الأكاديمي والشاعر أنطوان أبو زيد

لا بد أولًا من النظر إلى واقع الشاعر باعتباره كائنا يحيا في العالم. ويحدث أنّ عالمي كشاعر هو لبنان هذه النقطة التي تعصف بها الأنواء والحروب والكوارث على أنواعها.. تتقاطع معها آنات من الفرح وجيزة... لذلك، ينبغي لي أن أواجه جميع هذه التيارات الخارجية وأبقى صامدًا في عيشي وبدني وعائلتي. ثم أفكر... بمقام آخر... في كتابتي الشعرية التي أطمح في تحميلها معاني تجربتي الإنسانية و رؤيتي للعالم. ذلك أن الشعر لا يستقيم من دون رؤية تسنده وتشكل نسغ الكلام الشعري ومن دون أن تكون

الفلسفة عمادًا وحيدًا لها. فالشعر يتغذى من التأمل الرصين ومن دون أن تفرض على اللغة الشعرية قدرًا من الغموض يحول دون تواصل القارئ معه.

والحال هذه فإن من التحديات التي قد يواجهها الشاعر العربي هي إبقاء جذوة الشعر متقدة عنده. وهذا يوجب عليه قدرًا من التجريب مستمرًا وقدرًا من الاطلاع على التراث الشعري العربي والعالمي مستدامً..

ومن التحديات أيضًا التساؤل النقدي المستمر عن قيمة الأعمال الشعرية المنجزة وهذا يستدعي تبصرًا قد لا يتاح لكثيرين من الشعراء الذين يتركون أمر نقد أعمالهم للآخرين.

ولكني لا أحسب أن الشعر غير مشروع جمالي وفكري ووجداني لا ينتهي بانتهاء العمر بل هو سعي تصعيدي محفوف بالمخاطر والأخطاء والتصويبات وصولًا إلى الذرى المأمولة والناقصة دومًا.

أما أحداث غزة بل حرب الإبادة التي تشنها إسرائيل والتي تغتال فيها الانسانية بكل أوجهها وتسحق فيها كرامة الإنسان الفلسطيني بأبشع طريقة فهي عنوان مزيد للتأمل في الحياة المعاصرة وفي غياب معناها وعبثيتها وانتصار الحداثة المتغولة على الكثير من القيم التي يدعي الكثيرون اتباعها.

ولكن هل يعني هذا كله أن الشعر بما يعنيه من سعي إلى السمو وتصعيد للألم هو عديم القيمة؟ على الإطلاق، بل إنه مرتقى الرجاء الجميل والباقي وحامل الصوت الإنساني الأنقى وما يستطيعه الشاعر اليوم هو احتمال قدر سيزيف وأورفه و سائر المبدعين.

الشاعر أحمد وهبي

بلا مقدّمات ..

انتبه .. كيف يشاهد الشاعر ذاكرته في مختلف الأماكن، ثمّ كيف يستحثُّها على خَلق عوالم واكتشافها .. لعلَّه يُعيدَ صياغةَ ما انكسرَ وسقطَ واندثر.

ولأنَّها لذات الأنا المُحَمَّلة بالرّغبة .. التوافق والتضاد، يحشد لَها أدوارها، ظواهرها وإشكالاتها النفسيّة.

والذاكرة مثل القصيدة والنثر، تحمل الغموض كمُرَكَّبٍ يفيض عن حاجة صاحبها، وبها سَطوعٌ فريد المعرفة والسِّحر، كما هي دقيقة المنافسة، تغربل الأوهام لاختلاق حقيقة الحقيقة، لعلّها بهذا الابتناء، تدفع سرديات مجتمعيّةً متوهَّمة، بحيث تقع علىً نبشٍ مغاير، لأجل اندماجٍ معرفيٍّ عميقٍ الواقع والمُتَخَيَّل.

في نزهة تأمليّة، تحيك الذاكرة تفاصيلها بمفردات، تتكدّس أنماطها، يغلب عليها المزاج والتجربة .. وعند مرفأ النفس الخاص والعام، يُستحضَرُ .. ترسو الذكريات والعلاقات، تلك، مختبر الصُّور والمشاهد صعوداً ونزولاً. الطاردة للقشور وتناسل الجثث. ذاكرةٌ لا تبرأ من الحياة ..

وانطلاقاً من نظرية التناظر واللاتناظر، يأخذ فعل المقاومة دوره وينجح كما وقع سابقاً. والمقاومة جبهات متعددة مفتوحة عسكرية، اجتماعية – ثقافة الوعي، أقلامها الأدباء والكتّاب والشّعراء، المؤمنون بوطن ومواطن، كذلك اقتصادية وسياسية.

ولظلال الأفكار، فصولٌ سابقة تنتمي لأعراق منقرضة. الفكرة العميقة لا تحتمل البطلان والخذلان، تعكس المرآة أعماق الظلال تلك النفْسُ التي توقظ الفجر، تجري رواياتها على لسان الذكريات تارةً وواقع الحال باختلاف المزاج العام، توقدُ ما شُوِّقَ في قيظٍ أو زمهرير الحَنين والوجود.

تواترٌ غامضٌ يحاور ما نجهل، وتلك الإشكاليات لا تضع أوزارها بالمطلق، إنّما تتفاقم وقت الحرب مثل يوميات عقيمة نحمل بها. وأيام القتال لا تخفي المُبطَن، والعيون السكرى تؤدّي طقوسَها. هالَ الشجرة أنّ ذراع الفأس منها وبأنّا مؤهلّون لقناعات مختلفة، ومُختلَف عليها؛ فلا بُدَّ لصاحب التجربة الحامل لهمّ الإنسان من دور، وحضور إبداعي، وتوجُّه لدرء الأخطار على الصُّعد كافّة.

وليس السؤال كيف ينعكس الواقع بجديده المؤلم على الحياة العامّة ودور المثقّفين ؟ بل كيف يعكس المثقّف والآخر ـ الطبقات المتمكّنة، كيف يقبض على اللحظة المؤلمة القاتلة في نفسه وعقله وروحه، ويطلقها تصويباً للقضايا الوطنية والوعي والثبات والتوجّه والوحدة، كمعادلة رياضية محبوكة العناصر. هنا، الشاعر صاحب بوصلة، واتّقاد كاسر للأبعاد، يتجاوز فيها ذاته ليس تجريباً ولا نبشاً ولا متنفّساً، بقدر ما هو كلّ ذلك وأكثر، على قاعدة الدور المناط بصاحبه، وبالأخصّ حين وقوع الكوارث بمسمّياتها، كون الشّاعر هو استمرار للفكر الخلّاق.

وفي الميدان تزداد المَهمة صعوبة، من جهة يتحوّل الإبداع إلى حالة جماعية، ومن جهة ثانية تنشط الأقلام الصفراء، مواجهة في الداخل والخارج. إزاء ذلك يستوي الدور الطبيعي والكبير للمثقّفين الوطنيين الأخلاقيين والإنسانيين.

الشاعر والروائي أنور الخطيب

يُفترض في المبدع الحقيقي، شاعراً أو روائياً، أو في أي شكل من الأشكال التعبيرية، أن يكون منشغلاً في التجريب والتجديد والتجاوز من دون نشوب حروب وأزمات، وإلا تحوّل إلى صدى للظرف، أو ما يشبه شاعر المناسبات، الذي يفصّل لكل مقامٍ مقاله. وبالنظر إلى المبدع العربي، يبدو أنه يفتقر نسبياً لهذا (الترف) التأمّلي، ما انعكس على قدرته على التجاوز، أو أنه استمرأ البقاء حبيس الشطر والعجز، إضافة إلى انصياعه للوعي الجمعي، والاتجاهات العامة، التي تنظر بعين الريبة لكل حديث مختلف، وهنا تشتبك الحداثة مع التقليد، والجديد بالقديم، وتفرض المرحلة لغتها وصراخها ومباشرتها على المبدع، ليواكب الحدث ويكتب الشعر المقاوم، الذي يتنازل فيه الشاعر عن بعض التقنيات الجوهرية لإرضاء الآخر، ويصبح النص ضحية للحدث والمرحلة، في الوقت الذي أنتجت الأحداث العالمية المفصلية للشعوب ثورة في الإبداع، كما حدث في الثورة الفرنسية، وظهور السوريالية التي تزعّمها لوتريامون.

ولا شك أن ما يحدث في غزة ولبنان انعكس على النصوص كافة، حداثية أو تقليدية، والانعكاس كان في التركيز على الحق في المقاومة وإظهار بطولة الشهداء والوقوف إلى جانب الضحايا والمشردين، ورافقها إحساس بالغضب من الأنظمة الرسمية العربية، فجاءت بعض النصوص على شكل هتافات أو مرثيات ومنها ما أحدث تجاوزاً في اللغة وحتى في الشكل، وأدخل مفردات، كما حدث معي، مثل جدار الصوت، والمسيّرات، كما طرح أسئلة بشأن أهمية التحديث، ودوره في المقاومة كفعل حداثي متجدّد ومناصر للحرية والعدالة، واسئلة أخرى مضادة تتعلّق بقدرة النص الحداثي، قصيدة النثر مثلًا، على تجييش الجماهير والحفاظ على علوّ معنوياتها الوطنية، وهناك من طرح جدوى الكلمة في ظل سيادة الرصاص وهدير الحرب والخوف، فأصيب بالكآبة وربما الهزيمة، بينما المبدع الحقيقي يعدّ نفسه مقاتلاً في الصفوف الأمامية، ومدافعاً عن الجبهة الداخلية، ومقاتلاً داخل نصّه فيسعى إلى تفجير اللغة والصور الشعرية والمشاعر والشكل التعبيري.

ونسأل هنا بدورنا عن دور المبدع بشكل خاص والمثقّف بشكل عام، هل بقي أسير قصيدته أو نصّه أم أنه التصق بالجماهير، فتظاهر معها، وانخرط في الحملات الإغاثية وجمع التبرعات، واقول آسفاً، إن المثقف خذل شعبه ومقاومته، وبقي سلبياً متمسكاً بعزلته، ولم ينظّم اعتصاماً واحداً، وهذه، حسب رأيي، هي الإشكاليات الجوهرية التي يعانيها المثقف، الذي تنازل عن وظيفته العضوية، وفضّل الفرجة على المشهد المأساوي، وما نراه من أمسيات شعرية لمناصرة غزة، يبقى أثره حبيس جدران الصالات والمنتديات.

الشاعر بلال المصري

ما حصل في غزة بعد السابع من أكتوبر يتجاوز قلق الشاعر العربي إذ حوّل التجريب الشعري إلى صدمة وقلق أصابا المثقفين من شعراء وفنانين في جميع أنحاء العالم. المشاهد والصور الصادمة والمروعة لحرب الإبادة الجماعية في غزة وضعت الضمير العالمي أمام أكبر اختبار لحقيقة القيم والمشتركات الإنسانية بين الشعوب التي لطالما نادى بها المجتمع الدولي.

تلك القيم التي تعبر عن الحضارة الإنسانية وهنا لم يعد يملك المثقفون والشعراء والفنانون سوى أدوات التعبير التي تكاد أن تكون من دون جدوى إن لم تدعم بتحركات على أرض الواقع. والرعب الحقيقي أن يقف العالم بأثره متفرجًا على المذابح اليومية بغزة أطفال يقتلون قبل حصولهم على شهادات ولادة عائلات بأكملها تشطب من سجلات القيد وأكثر من مليون شخص يعاني المجاعة والعطش من دون دواء ولا ماء إنها فاجعة العصر ومأساة إنسانية لا مثيل لها في العصر الحديث.

أنا كشاعر لا أريد أن أصف هذه المأساة من خلال الكتابة كأن أمجد الشهداء الذين يرتقون كل يوم أو وصف الحالة الإنسانية المذرية هناك. بل أحاول أن أظهر العالم على حقيقته من خلال التجريب في الكتابة الشعرية الكاشفة أريد أن أرسم بالكلمات وجه العالم القبيح الذي رأيته على حقيقته.

نحن نعيش كذبة كبيرة اسمها حقوق الطفل وحقوق الإنسان وحماية المدنيين ومحاكمة المجرمين. هذا ما أريد التعبير عنه من خلال محاولاتي وتجريبي في بناء نص شعري يعبر عن مضامين هذه الرؤيا من أجل مواجهة العالم بحقيقته. والسؤال الذي يقلقني هل بقي للذين قتلوا في غزة وتناثروا أشلاء هل من يستطيع التعرف إليهم وجمع أشلائهم أم أن الأشلاء التي اختلطت ببعضها ستفقد هذا الفرد حتى حقه في أن يكون جسده في حفرة واحدة؟

هذه الأسئلة بالنسبة إلي جوهرية وضرورية لأنها تحاول إعادة رسم الوقائع بصيغة الفاجعة الكبرى فنحن المثقفين العرب لم نفعل شيئًا فما حدث وما يحدث حتى هذه اللحظة سيكون له الأثر البالغ في تكوين شخصية المثقف العربي وقيمته الإنسانية والإبداعية. ولأن الشاعر يمثل الضمير الإنساني وفؤاد العالم فهو يكتب ليقول شيئا للذين بإمكانهم تغيير العالم

وهذا ما أحاول العمل عليه من خلال التماهي مع الأحداث الراهنة في غزة وجنوب لبنان الذي وقف إلى جانب غزة وقدم موقفًا إنسانيًا عظيمًا يتماهى مع تطلعات كل الأحرار في هذا العالم وهو مثل قصيدة لكن تكتب بالنار والدم. ■

الروائية الليبية فاطمة سالم الحاجي:

الرواية هي معزوفة الوجع الجمعي

سعيدة شريف*: المغرب

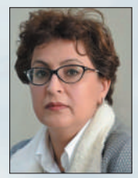

تعد الروائية الليبية فاطمة سالم الحاجي من ضمن الأقلام الأدبية المتميزة التي فرضت نفسها في المشهد الروائي العربي في السنوات الأخيرة، بفضل عمليها الروائيين: «صراخ في الطابق السفلي» الصادرة عام 2016 عن «دار النهضة العربية» ببيروت، و«رحيل آريس» الصادرة عام 2022 عن «دار خريف للنشر» بتونس، اللذين نقلت فيهما بحس إبداعي المعاناة التي تعرض لها الإنسان العربي في السنوات الأخيرة بسبب التحولات والصراعات الأيديولوجية التي عرفتها المنطقة وحروب "الربيع العربي" التي انقلبت إلى لعنة على العديد من البلدان العربية، ومن ضمنها ليبيا، التي ما زالت تنشد الاستقرار والأمان إلى الآن.

فإذا كانت رواية «صراخ في الطابق السفلي» رواية بانورامية نجحت في نقل معاناة جيل بأكمله في ثمانينيات القرن الماضي في المجتمع الليبي، وعملت على تعرية تناقضات الرجل والمرأة الليبيين بمختلف مستوياتهما وصراعاتهما الأيديولوجية واضطراباتهما في محطات تاريخية حاسمة في ليبيا كان فيها للدكتاتورية سطوتها، لدرجة جعلت مجموعة من النقاد يدعون من يرغب في التعرف على ليبيا إلى قراءة هذه الرواية، فإن رواية «رحيل آريس» رواية ملحمية فجائعية، وصرخة حقيقية في وجه الحرب والظلم والدمار بكل أنواعه، الذي لحق بالوطن العربي بسبب «الربيع العربي»، وبسبب تجار الدين ودولة الخلافة الوهمية.

الرواية بالنسبة إلى الكاتبة الليبية فاطمة الحاجي مسكنها وملاذها الآمن، فيها يتوحد الوجع الخاص بالعام ليعطي معزوفة سردية مؤلمة، برعت الكاتبة في إعادة تفكيك الكثير من الخيوط والوقائع والأحداث، وأعطت فيها الكلمة للأصوات المهمشة وللضحايا من الأطفال الذين شاخوا وهم صغار، وسلبت الحرب براءتهم، والنساء اللواتي لم يعد لهن إلا الوجع والنواح، فيما رياح «التغيير» قد عصفت بالكثير من الليبيين والسوريين وغيرهم، وقذفت بهم خارج بلدهم وجعلتهم يعانون الأمرين مع الاغتراب وفقد الأحبة، كما هو الشأن مع الكاتبة الليبية فاطمة الحاجي، التي فقدت ابنها وزوجها في خضم هذه الحرب، واضطرت إلى مغادرة ليبيا.

وإلى جانب الإبداع الأدبي، فالكاتبة فاطمة الحاجي أكاديمية متخصصة في النقد الأدبي درست بكندا وبريطانيا، وعملت كعضو هيئة التدريس بكلية اللغات بجامعة طرابلس، متحصلة على ليسانس في الفلسفة، وماجستير في النقد من جامعة محمد الخامس بالمغرب، والدكتوراه في النقد الأدبي من جامعة درم ببريطانيا. عملت في الصحافة كمعدة برامج، ورئيسة قسم الترجمة في المؤسسة العامة للثقافة، ومحكمة للعديد من المجلات الأكاديمية المتخصصة، كما كانت عضو لجنة تحكيم الجائزة العالمية للرواية العربية في دورة عام 2017. صدرت لها مجموعة من الدراسات النقدية من ضمنها: «القراءة النقدية الجديدة» 1998، «مفهوم الزمن في الرواية الليبية» 1999، و«الخطاب الروائي» 2007، الذي كتبته باللغة الإنجليزية وترجمت إلى اللغة العربية لاحقا.

في هذا الحوار تفصح الروائية فاطمة الحاجي لمجلة "الحصاد" عن جوانب من إبداعها ومعاناتها ومعاناة أبناء جيلها.

● «الحصاد»: سأبدأ معك هذا الحوار من الجانب الإنساني، فكيف تعيش الكاتبة والناقدة فاطمة الحاجي غربتها ومقامها بعيدا عن بلدها ليبيا؟

○ فاطمة الحاجي: تطول رحلة الاغتراب وأقف صامدة، لا شك أن غيبتي عن بلادي أوجعتني ولكني أراني عرجون فخر نخيلها، يذرفني الحنين إليها وينام جفني محتضنا شواطئ مدنها، وذكريات أهلي وأحبتي وعمري في مدينتي طرابلس، أكتب ديوان عشقها وأنا أحظر المحافل العلمية والمؤتمرات في الجامعات المختلفة أمثلها صوتا وجوديا يترنم باسمها. ويقدم رصيدا هو كل ما أملك لأقول هذا لها، هذا باسمها وإن جحد الجاحدون.

● «الحصاد»: أنت من الكتاب الذين استثمروا معاناتهم وجرحهم في أعمال أدبية متميزة، فهل الكتابة والأدب هي ملاذك الآمن في واقع اليوم المرير؟

○ فاطمة الحاجي: لا شك أن الكتابة في أقدس وجوهها هي نزيف الروح، تجبر كسر الإنسان. والرواية إعادة تفكيك الواقع وتشكيله بطريقة تتموقع في عرش الاكتشاف والرؤية والفن. فقد تزامن مروري بظروف تراجيدية قاسية صدور رواياتي الأولى بعنوان «صراخ الطابق السفلي» والثانية بعنوان «رحيل آريس». فالسرد يعادل الحياة، وكما يقول فنسنت فان جوخ «الفن يرمم من كسرتهم الحياة».

كم هو شاق أن أعود إلى وصف لحظة الكتابة وأن أتحسس ألم الأعماق لأشكل ترتيبه ضمن الأوجاع القابعة في أغوار الروح، لأكتب رواية هي طوق النجاة من أغوار العدم، وأن أفر من خيانة الصمت عندما يستوجب الجرح البوح والانفجار.

● «الحصاد»: بعد إصدارك لمجموعة من الدراسات النقدية والأدبية أقبلت على كتابة الرواية، فكانت روايتك الأولى «صراخ الطابق السفلي» الصادرة عام 2016، وهي رواية استطعت فيها الجمع بين الأحداث التي عاشتها ليبيا في ثمانينيات القرن الماضي من الغارة الأمريكية على طرابلس وبنغازي، والصراع الفكري والأيديولوجي الذي شهدته الجامعة، فكيف تمكنت من جمع كل هذا الزخم والوجع وكل الأسئلة المؤرقة في عمل روائي؟

○ فاطمة الحاجي: لعل الرواية أهم أعمالي الإبداعية، وروايتي الأولى" صراخ الطابق السفلي" رواية بانورامية موغلة في أعماق إنسانية مختلفة، وفي أعماق الضحايا والجلادين بمختلف صورهم، وتاريخهم، ومشاعرهم. وهي تعرية لتناقضات الإنسان في أدوار متضاربة، وفي ممرات تاريخية حاسمة على أرض ليبيا في أهم مرحلة من مراحل تحولاتها وتناقضات واقعها واضطرابه وصراعه المرير، لقد تبلورت هذه الدوافع وجاءت ليس للتعبير عن قضايا المخزون المعرفي ودور البطل المشارك، وإنما جاءت، حسب ظني، نتيجة تفجر موهبة مقموعة لسنين طويلة في ذاتي. ذاتي التي تاهت في التجريب والدراسات والواجبات الأسرية، ومعاناة الحياة عموما. وشعوري في لحظة الخلق أن لا حياة لي بدون كتابة الرواية، كما يرى بعض النقاد أن مكانة السرد قد تصل إلى معادلة الحياة. كتبت هذه الرواية بعد أن تراكمت الظروف التي دفعتني إلى أهمية الكتابة، وأهم هذه الأهداف هو ترك توقيعي على رصيف الحياة قبل العبور إلى الضفة الأخرى، ولعدة دوافع لا يمكن الإفصاح عنها في هذه المساحة الضيقة.

رواية حملتها تجربة حياة قاسية للوعي الفردي، ومعاناتنا لسنين طويلة، معاناة جيلي وكل أبناء الوطن، ومعاناة الإنسان في ظروف الحياة المختلفة. وبهذا تراكم جبل المعاناة وظل هذا الهاجس يحفر في ذاتي إلى أن وصلت إلى نقطة حسمت مسألة كتابة "صراخ الطابق السفلي"، فجاءت الرواية معبرة عن الآلام المشتركة، لأن أفكارنا المنتجة تولد من الألم، والألم هو ليس الذات الموجوعة، ولكنه وعي الذات بالألم، في تحويله لوعي يفارق العلة الكامنة في أعماقها القيمية والإنسانية. فالإبداع ما هو إلا تصوير لبؤس البشر في أزمة وجودهم وصراعهم من أجل تحقيق الذات، والبحث عن الحب والمتعة ونشدان الحرية واستبعاد الفناء، حيث يصبح الألم قيمة مكونة للجمالي والفني في الرواية، الألم الذي ينشده الروائي ويكشف عن أسرار عمق الكائن البشري في رحلة الحياة فتكون أيقونة الألم الجليل. هذه الرواية تتناول رحلة زمنية تعود إلى الثمانينيات حيث الصراع والتغيير على أشده بين قوى السلطة وأغلب فئات المجتمع.

وشهد المجتمع الليبي الإعدام شنقا في الجامعات، وسجن المثقف، والتغيير الاشتراكي المتمثل في منع التجارة ومنع الأفكار، ومعاناة تغيير القوانين، والصراع الدولي المرعب الدائر في حرب تشاد، والغارة الأمريكية، كلها أحداث هزت وغيرت المنظومة الاجتماعية، ما نتج عنه التشظي الوجودي للفرد في مغالبته للعواطف والأفكار والصراع مع الداخل والخارج، ما ولد انشطار الذات أمام عنف السلطة وتكسر الأحلام الفردية والجماعية، وعزلة الفرد المقهور، حيث بدأ الانهيار الكامل للكيان الذاتي برؤية موجعة وتشكل أليم.

> **الكتابة الإبداعية حالة شعورية لها شروطها، وهي مثل الحالة الانفصالية بين الذاتين الحقيقية والمتخيلة ولا تخضع إلا لشرط الموهبة**

الرواية تعبر عن مجاهل الذات في واقع تداخلت فيه السلوكيات والقيم والمصائر، لا تعبر عن خط الزمن المستقيم، ولا عن البطل الواحد، فهي رواية أصوات، ومختلفة من حيث مصائر الأبطال المغاير للواقع، حيث الإنسان أحد مفردات الكون، وحيث النهايات المفتوحة غير المتناهية. وجدت نفسي في سياق التعبير عن هذا التوجه بلا وعي، حيث كان ما يشغل بالي هو ضياع الإنسان تحت سياط بطش السلطة والقدر على تنوع هذه السياط، التطبيق المعارض للتنظير، الحروب وويلاتها، صراع الإنسان بلا تحيز لقضية جنس دون آخر، ربما هو كل مخزون الألم المصاحب الذي سيطر بلا إرادة إلا إرادة التعبير والإبداع.

● «الحصاد»: وقفت في روايتك الأولى على معاناة المرأة في أوساط ذكورية، فهل كانت صرخة أيضا ضد المجتمعات الأبيسية؟

○ فاطمة الحاجي: من أهم الأصوات في "صراخ في الطابق السفلي" أصوات المرأة التي تعاني وتقاوم وتهزم وتنتصر، مواقف تراجيدية عاشتها بطلات الرواية مثل شخصية "سعاد" الطالبة الجامعية التي تقع في حب شاب يختلف في أفكاره عنها وتنتهي علاقتهما بالفراق، وتعري عدة أشكال من العلاقات المركبة مع والدها، وشخصية «عائشة» وهي التي تتعرض للاغتصاب من شخص في منصب السلطة، وتعاني مرارته وتختار ترك حبيبها حتى لا يكتشف مصيبتها، وتجعله يهيم في البحث عن السبب، وتضيع حقيقة معاناتها كما تضيع الحقيقة، وغيرها من الشخصيات الواعية لكنها مقموعة، فيها تجسيد واع لكل النظم الأبوية والسلطوية الظالمة. وقد تناول بعض النقاد هذا الجانب المهم في بناء شخصيات الرواية.

● «الحصاد»: في روايتك الثانية «رحيل آريس» الصادرة عام 2022، التي تشتق عنوانها من إله الحرب في الميثولوجيا الإغريقية، ترسمين عالما غرائبيا من التطاحن والحروب والوحشية، وتقدمين صرخة حقيقية في وجه الحرب «

والخراب الذي لحق بالوطن العربي بسبب ما يعرف بـ «الربيع العربي» وتجار الدين والخلافة الإسلامية الوهمية، فإلى أي حد يمكن للرواية أن تخلخل الكثير من اليقينيات والأوهام؟

○ فاطمة الحاجي: الكتابة الإبداعية حالة شعورية لها معطياتها وشروطها، وهي مثل الحالة الانفصالية بين الذاتين الحقيقية والمتخيلة ولا تخضع إلا لشرط الموهبة. وتمر مراحل الإبداع بالإعداد والكمون والإشراق، والتحقيق والتنفيذ ثم المراجعة. وهنا تتدخل ربما الخبرة النقدية وهي تأخذ مني وقتا طويلا لأنها قراءة واعية للكتابة. في رواية " رحيل أريس" طرحت سيرورة الأحداث لتشكل سؤال الأزمة، بل الأزمات التي تطرحها الرواية، ونظمت الحدث في تنامي يقود إلى الدهشة وغرابة السؤال الذي يغفو في لاوعي القارئ ليتوقف متأملا الحدث، والذات المتكومة وراء الانبهار بمفاجأة الديالكتيك المعقد بين الشخصيات المتضادة في ثنايا السرد. صرخة أطلقها أبطال هذه الرواية وأجبروني على كتابة «رحيل أريس» صرخة مني ضد الحرب. ترفض الأنين الخافت تجاه الأحداث المدمرة المعاصرة تجاه سوأة ما يسمى بـ «الربيع العربي» التي هزّت الذات والوطن والأمة جميعا. تفرض عليّ شخصياتها الخروج إلى الوجود لتنسج حقيقة المعاناة غير مبالية برأيي، ولا انتظاري لتقصي الأوضاع.

ومحاولة فهم صراع الأضداد الذي فاض كالطوفان علينا. غير مبالية بصعوبة التعبير في مواجهة الصورة التي لا تسمح بالتقاط الأنفاس لتصوير الحبكة والحدث والشخصية. كيف ألتقط قلمي وأنا أعبر الحرائق والدماء وأصوات القذائف، كيف أعبر لشاطئ الكتابة وسط الدخان وتطاير الرماد وأشلاء الأجساد، في سباق زمني تعبر فيه الصورة في وسائل التواصل في ثانية زمنية، بينما أنا مذهولة أحاول استيعاب الشريط المرعب للأحداث، شخصياتها لم تكترث لتشابك الأحداث التراجيدية وتضاربها واستحالة استحضارها في سيولة الزمن وتدفقه، وإنما تطرق باب وسادتي كل ليلة

الروائية الليبية فاطمة سالم الحاجي

وتتشكل كوابيس لا تختفي بظهور النهار. ما دوري في تصوير أحداث يشارك القارئ فيها بحضوره المادي ويكتوي بطعم الموت والهزيمة والدمار؟ ماذا يبقى للرواية لتصمد أمام صورة تنقل أدق التفاصيل وتعبر عن واقع متناقض الأطراف مسدود المسارب؟ فكيف لا نجن وكل شيء يدفع للجنون؟ ومن أين لي بقارئ يود إعادة رؤية كابوسه؟

رغم هذا الكم من المصاعب كان لا بد لي أن أكتب ما هو خلف الصورة، أكتب عن كل ما تشكل وتأطر خارج البراويز، يبقى سلاح الرواية طريقة للقول، ويبقى للرواية صيغة تشكلها وهي جنس ديمقراطي له إمكانية رسم تجربة مفزعة أكثر مما روته الأساطير، حيث تظهر الرواية كما قيل عنها "أداة للمقاومة" لا أعني المعنى السطحي للفظ مقاومة أي التحريض، وإنما مقاومة الوجع بالكتابة، لتكون الرسالة للقارئ لتحفيز الوعي المذهول ليقاوم الوجع المشترك، وبناء فكر يبني جدارا ضد تفتت الأوطان. فمن غير الرواية له إمكانية السرد الذي يعري الواقع ويعيد للأذهان الصورة لنعيد تأملها وندرك أنها ليست صورة، وإنما سرد فني موثق لتأمل الذات بمساحة من العمق، صورة هدم الإنسان بفعل الحرب والظلم، وهدم المدن وتهجير البشر ونسف جذورنا بأيدي أبناء الوطن. تبقى الرواية فعلا صامدا للوجود، كي لا ينسحب الإنسان من على هذه الرقعة بلا دليل على وجوده.

● «الحصاد»: تتميز رواية "رحيل أريس" بتعدد الشخصيات التي لا يمكن للقارئ الفكاك منها: موسى، حور، عامر، زهرة، بابكر، مبروكة، الطفل، والسبايا، وأشلاء القتلى، وتواتر الأحداث المؤلمة التي عاشتها ليبيا وبعض البلدان كسوريا، ما يجعلها رواية فجائعية بامتياز، فكيف تمكنت من الارتقاء بالوجع الخاص) فقد الابن والزوج والخروج من ليبيا اضطرارا(إلى الوجع العام؟

○ فاطمة الحاجي: الرواية هي معزوفة الوجع الجمعي، النابعة من أنين الذات. وفي حالتي اتحدت المعزوفة بالأنين وتمثلت عملا فنيا واعيا حسب ما أجمع عليه النقاد الذين تناولوا الرواية بالدراسة.

● «الحصاد»: بدأت بكتابة القصة القصيرة والشعر قبل أن تتحولي إلى كتابة الرواية، فهل الرواية برأيك هي الجنس الأمثل للتعبير عن أوجاعنا وانكساراتنا وآمالنا وطموحاتنا؟

○ فاطمة الحاجي: ظلت الموهبة نداء ملحا والرغبة في التعبير صوت يصعب إسكاته إلى أن نضجت خبرتي في الحياة وكانت حتمية الرواية، فالرواية هي الجنس الأدبي القادر على استيعاب تفاصيل الحياة ومعاناتها وتحولاتها. بدأت برواية "صراخ الطابق السفلي" وهي ملحمة بانورامية حول الثمانينيات وتجربة الشعب الليبي وما مر به من أحداث جسام تستحق التوقف عندها. ولاقت نجاحا كبيرا والدليل اهتمام النقاد المتخصصين الذين ثمنوها عاليا. ثم رواية "رحيل أريس" وهي نزيف الروح حول ما يحدث في المجتمع العربي من أحداث قاسية وظلم قاهر، فالسرد الروائي ليس خطابات ولكن هو منطق في التفكير، نحن نفكر بالسرد، وننظم تجربتنا بالسرد، فنحن كائنات حكاءة بامتياز. والرواية هي الفضاء الأرحب لرؤانا وتخيلاتنا وقضايانا الإنسانية المتشابكة والمتشعبة.

● «الحصاد»: وماذا عن تلقي أعمالك الروائية؟ فهل حظيت بالإقبال على المستوى النقدي؟

○ فاطمة الحاجي: القراءات النقدية تحمل السعادة بلا شك للذات المبدعة، فالنقد هو الذي يعطي حيوية للنص الروائي وتوضيحا واكتشافا لجمالياته ودلالاته. وقد استقبل بعض النقاد الرواية في ليبيا أو خارجها بترحيب، وحظيت بقراءات مهمة جدا وأدركت بعض الجهات العلمية أهميتها حتى أفسحت لها جامعة بنغازي الموقرة مساحة في مؤتمر النقد والأدب عام 2022.

وكانت الرواية محورا من محاور مؤتمرها، واتخذ طلاب الدراسات العليا من الرواية متنا للدراسة والتحليل. كما كتب عنها العديد من النقاد والباحثين من السودان ومصر والمغرب وتونس وليبيا وغيرها من البلدان، حيث قال عنها الكاتب السوداني الدكتور يسع حسن: «من أراد أن يقرأ ليبيا فليقرأ رواية» «صراخ الطابق السفلي».

وبقدر ما أسعدني هذا التلقي لرواياتي بقدر ما فتح أمامي العديد من الجوانب في تجربتي وجعلني أفكر في الجانب النقدي لاكتمال العمل الأدبي بين الكاتب ومتلقيه ودفعني إلى المزيد من التأمل في العملية الإبداعية. والنقطة المهمة التي أسعدتني في هذه التجربة هي إحساس القارئ بالوجع المشترك، حيث قالت عنها الشاعرة حواء «أعترف أن قراءة هذه الرواية موجعة وأنها تذبحني وتحرق أصابعي وأخجل أمامها. رواية كبيرة مغموسة في الألم».

هذا عن رواية «صراخ في الطابق السفلي». أما رواية «رحيل أريس» فقد اهتمت بها بعض وسائل الإعلام العربية، وخصص لها «بيت الرواية» التابع لوزارة الثقافة بتونس أمسية نقدية، كما اهتم بها مختبر السرديات بمكتبة الإسكندرية بمصر، كما أفردت لها مجموعة من الدراسات المنشورة في الصحف والمجلات الورقية والإلكترونية العربية. ■

*إعلامية وكاتبة من المغرب

«سيدات عجوزات من الناصرة»

للراحل نعيم عطا الله

رؤوف قبيسي

شاءت المصادفة وأنا أتصفح بعض الكتب، أن عثرت على كتاب بالإنكليزية للصديق الراحل، الناشر البريطاني نعيم عطا الله وعنوانه، «سيدات عجوزات من الناصرة». الكتاب صغير (70 صفحة، منشورات دار كورتيت) فحواه قصة سيدتين عجوزين عاشتا في الناصرة في أربعينات القرن الماضي وشهدتا نكبة فلسطين. وقد وضعه المؤلف، الفلسطيني المولد، بالإنكليزية لأنه وجد نفسه أضعف من أن يضعه بلغته العربية الأم، التي يقول متحسراً إنه لا يجيدها.

من هما هاتان السيدتان، وما علاقة نعيم عطا الله بهما؟

قد يوحي عنوان الكتاب بأن المؤلف اختار سيدتين مشهورتين من مجتمع الناصرة، لكن مضمون النص يغاير الانطباع الذي يولده العنوان للوهلة الأولى، لأن السيدتين ما هما غير مسنتين أميتين، لا تعرفان من العالم غير بلدة الناصرة القابعة بين الأودية، وحيفا المدينة «البعيدة».

اسم السيدة الاولى وردة والثانية جميلة، وما اختيار المؤلف هاتين الشخصيتين الحقيقيتين وسرد حياتهما بأسلوب سهل عذب، إلا سرد لفترات زمنية من حياته، لأن وردة هي جدته لأبيه، وجميلة هي شقيقتها.

يقول الكاتب الفلسطيني إن الفترة التي عاشها معهما في الناصرة بعيدا عن «أبيه القاسي وأمه المطيعة لأبيه»، فترة وردية في حياته. ينطلق الكتاب من قول جبران: «أبناؤكم ليسوا لكم، إنهم أبناء الحياة»، في إشارة الى الفراغ الروحي والنفسي الذي عاشه الصبي نعيم مع أبيه في حيفا، وتشوقه للبيت الدافئ في الناصرة، بيت جدته وشقيقتها اللتين كانتا تعيشان من بيض ما لديهما من دجاجات معدودات، ومن غلة أرض كانتا تزرعانها الورد والخضر وتبيعانه في سوق المدينة، لتعيشا حياتهما المملة المتواضعة وتردا عنهما شبح الفاقة والمرض.

كان الشقاء وشظف العيش، سمة حياة العجوزين التي صورها نعيم عطا الله بكل صدق. كان أبوه عسكرياً شديد المراس، يجيد الالمانية ومعجبا بأدولف هتلر، وكان قد طرد أمه (وردة، جدة نعيم) واختها خارج البيت، فاضطرا للعودة الى المنزل القديم في الناصرة، «مسرح طفولتهما والمكان الذي شهد آخر نحب من أنحابهما».

لكن أين زوج وردة (أي جد نعيم)، في القصة وأين زوج شقيقتها جميلة؟

هنا ينبئنا المؤلف بأن جميلة عاشت حياتها عانساً مع اختها الأرملة وردة، وهذه الاخيرة مات زوجها وهي بعد حامل ولم ترزق منه إلا ذلك الابن القاسي القلب (والد نعيم). وعلى رغم سمات الحزن التي تطبع القصة، من أول صفحة الى آخر صفحة، يجد القارئ متعة كبيرة وهو يتتبع حياة وردة وجميلة. وما حياتهما إلا صورة، أو قل عينة من عينات الحياة في الناصرة قبل النكبة، كما يجد متعة في أسلوب المؤلف، وهو يصف البيت العتيق »الذي كان مؤلفا من حجرتين سقفهما عال جداً، على أرضهما امتدت فرش النوم. وفي الزوايا العالية، بين السقف والجدار دوائر ذات فتحات ينساب منها الهواء فيضفي على فضاء الداخل جواً منعشا في الصيف حين تكون الحرارة في الخارج رطبة وشديدة. أما المرحاض فمكانه في الحديقة، وكان حقيرا حتى بالمقاييس الشرقية».

يتابع عطا الله الوصف فيقول: «وفوق الحجرة الصغيرة علية، كانت وردة وجميلة تخزنان فيها مؤونة البيت: أكياس من الحبوب وجرار من زيت الزيتون والخل الذي كان يصنع في اثناء مواسم العنب. وكان السبيل لتسلق العلّية سلماً عتيقا من الخشب كانت جميلة تصعد عليه بصعوبة، لأنها كانت حدباء، وكانت تخشى أن تزل قدمها فتقع، لأنها لم تكن واثقة من التوازن في أجزاء جسمها، إلا أن ركبتيها كانتا تخونانها فتقع، مرة كل سنة في أقل تقدير».

كانت حياة وردة وجميلة شديدة العسر حقا. كانتا تعملان طوال النهار في الحديقة، وكان شح ماء السماء وماء بئر الحديقة، مصدر قلق كبير لهما. كانتا تدركان أنهما في تلك السن المتأخرة عرضة للمرض وأوجاعه، لذلك لم يكن لهما هدف غير البقاء والتكيف وتحمل الأوجاع، حتى أن جميلة كانت تسخن قضيبا من الحديد تضعه على جروح في جسمها وتتحمل الوجع بقدرة فولاذية.

كانت وردة في الثامنة عشرة عندما زوجّها أهلها لشاب لم تعرفه ولم تره من قبل. ومات بعد فترة قصيرة وتركها حاملا بابن وحيد. وعندما وضعت وليدها تدخل أهل زوجها الفقيد ليأخذوا الطفل بحجة أنها لا تملك الوسائل لتربيته، لكنها رفضت وأرسلته الى المدرسة الالمانية التي كانت تضم داراً للأيتام، وكانت تزوره كلما سنحت لها الفرص. وشب الولد على نظام صارم ودخل الجيش الالماني وعاش حياته لا يشعر بأي عاطفة نحو أهله وأصله ومسقط رأسه. كانت علاقة وردة مع ابنها مشحونة بالعواطف، وعندما عاد الابن من تركيا بعد انتهاء خدمته مع الجيش الألماني، عمل في مصرف مصري صار ملكاً في ما بعد لأحد المصارف البريطانية، ثم ترك الناصرة الى حيفا، وأخذ معه أمه وردة وعمته جميلة، ثم تزوج فتاة من أسرة كاثوليكية متدينة، أنجبت ثلاث بنات وطفلا (نعيم).

لم يشعر رب البيت بالندم لطرده والدته العجوز من البيت، لأن هزيمة المانيا امتلكت عليه حواسه، وجعلته كئيبا »فهو لم يكن فاشياً، لكنه كان شديد الإعجاب بهتلر ومحبا لألمانيا التي كان يعتبرها وطنه، وكان يحسن الالمانية بلهجة أهلها إلى حد لم يكن السامع يعرف أنه ليس المانيا«. مهما يكن، لم تتوقف وردة وجميلة، عن البكاء، اذ لم يكن أمامهما مكان لتناما فيه، والبيت في الناصرة كان مؤجراً، فذهبتا تبحثان عن مأوى في الكنيسة البروتستانتية في الحي الألماني، وفي فناء تلك الكنيسة كان يعيش عجوز أعمى يمتهن تنجيد الأرائك، وكانت وردة وجميلة زارتاه غير مرة ونشأت بينه وبينهما رابطة من المودة جعلته يتأهل بهما بذراعين مفتوحتين، فقضتا في الكنيسة أسبوعين قبل العودة إلى الناصرة.

وهناك في البيت الريفي في الناصرة، تعود الأمور إلى وتيرتها المعهودة وتمضي الأيام كما تعودتا أن تمضي. لم تكن تقطعها إلا فترات من التأمل والنجوى والخيالات المتكررة عن حيفا والبيت وشارع الجبل، وذكرى البنات الثلاث اللواتي كان حبهن قد ملأ قلب الجدة وشقيقتها، وذكرى ذلك الصبي الذي ترك الفراق عنه في نفسيهما ألما ما بعده ألم »وكانتا حيثما نظرتا في حديقة البيت تريان وجهه، بين ظلال الشجر وعتمة الليل وثنايا الغيوم، وكم تمنتا لو بقي معهما، أملا وعزاء ساعة تقسو الحياة وتشتد مظالم البشر«.

بعد مرور بعض الوقت على عودة وردة وجميلة الى الناصرة، تتغير حياة القاطنين في فلسطين بفعل الحوادث بين العرب والبريطانيين، واليهود والبريطانيين، وبين العرب واليهود الوافدين من اوروبا النازية. وعند هذه المفارق جميعها يدخل الصبي نعيم في القصة، من دون أن يسمّي نفسه، أو يقدم أي تلميح على أنه المعني في السرد. وهنا تبدأ حياة الصبي في البيت الريفي، مع جدته وأختها جميلة. ■

الشاعرة المصريّة

آلاء فودة:

أسعى طوال الوقت أن يصبح لي صوتاً متفرّداً

نسرين الرجب: لبنان

بلغة شاعريّة دافئة، فيها من تفاصيل اليوميّ وهواجس المرء في شؤون حياته وخياراته، تصنعُ الشاعرة المصريّة آلاء فودة شخصها الشعريّ، كامرأة لها الكثير من الطموح، وكحالمة ترصد في الشعر ميزان حكمتها، وكأمّ تخطّ تفاصيل تجربتها شعرًا، وتبكي.

أنهت فودة دراسة اختصاص الصيدلة في العام 2013، ولكن الشعر كان حلم الطفولة الذي ساقته في كتاباتها اللاحقة في ديوانيها "بحة في عواء ذئب" و "شامة أعلى الرحم"، عن تجربة الكتابة والأمومة، كان للحصاد هذا الحوار مع الشاعرة.

الشعر أسبق من الصيدلة

في الحديث عن تاريخ صلة فودة بالشعر، واختصاصها في الصيدلة كاختصاص علميّ بحت، تحكي كيف كان الشعر أمنيّتها السبّاقة إلى قلبها من الصيدلة، وتقول: " تمنيت أن أصبح شاعرة منذ طفولتي، ربما لو تأملت الآن أنّ طفلة تريد أن تصبح شاعرة لتعجّبت؛ ولماذا الشعر أيضاً؟ لماذا لم أحلم أن أصبح صحافيّة أو كاتبة أو روائيّة أو قاصة؟ كنت صادقة فيما أريد، شاعرة مفتونة بالشّعر، ولأنّه لي ميولٌ علميّة اخترت الصيدلة وأيضًا كانت حلمًا براقًا؛ ولسوء الحظ دار الزمن ولم يصبح لكليهما (الشعر والصيدلة) البريق الذي حلمت به.

فالصيدلة برأيها لم يعد لها الرواج السابق، ربّما لكثرة المتزاحمين على الاختصاص. وترى أن الشعر أيضًا خسر هذا البريق من زمن سالف، ولكن تضاؤل فرصتيهما في التواجد داخل سوق العرض والطلب، بحسب تعبيرها، لم يُثنها عن التشبُث بهما: كرغبة دون كيشوتيّة، ووهم أسوقه لنفسي أنني أفعل الأشياء التي آمنت بها، أحيانًا أتخيّل أن يمرّ العمر وأجد أنّني نذرت حياتي للهباء كمخبول يكتنز عملات عفى عليها الزمن، ولكن لا بأس أنّ نُنفق أعمارنا من أجل الأشياء التي نحب.

صدر للشاعرة ديوانان، وهي تواظب على نشر قصائدها في دوريات عربية ومصرية.

كانت المشاركة الشعريّة الأولى لـ فودة في العام 2018 على مدى يومين، في أمسية على مسرح معهد العالم العربي في باريس، وعن هذه التجربة تفيد: «تدربنا على الإلقاء مع الموسيقى والتقاطعات بين النصوص والترجمة على يدّ مخرج مسرحي». وتضيف: «شاركت في أمسيات معرض الكتاب في القاهرة، وفي مؤتمر قصيدة النثر في القاهرة، ودُعيت إلى مهرجان الشّعراء الشباب في الصين، في يوليو الماضي».

الشعر ورحلة التجريب

تكتب فودة قصيدة النثر، في محاولة للتحرّر من كلّ ما يُعيق قصديتها عن تفريغ كل مكبوتات القول، وتذكر أنّه كان لها في مراحل دراستها الجامعيّة محاولات في كتابة الشعر العموديّ حتى أنها قامت بإنجاز ديوان موزون ومقفى على نسق موسيقى بحور الخليل، ولكن ذلك الحماس لم يصاحبها طويلا وبحكم القراءة والتجربة، أطلقت يديها وذهنها من تلك المحدّدات الخليليّة، وهنا تشير: "عند وقت محدّد شعرت أنّني مقيّدة، والقيد هنا كان نفسي وشخصي، شعرت أن الحياة تقيّدني بخياراتها المحدودة ولم يبق لي أيّ مساحة للحريّة سوى الشعر.

فكان السؤال: فلماذا أتركه أيضًا ليقيّدني ببحر ووزن وقافية، الرغبة النفسية هنا كانت رغبة سياق معيشي تلتها رغبة على مستوى الشعر، فلجأت لكتابة القصيدة الحرّة كرغبة في الانطلاق بلا قيد».

في محاولتها للنجاة من التكرار، والتناسخ كما يحدث في عالم الشعر، تحرص فودة أن يصبح لها صوتها المتفرّد: «أتابع ما كُتب من شاعرات قديرات سبقنني وأحاول متابعة ما يُكتب من شاعرات معاصرات، وأسعى طوال الوقت أن يصبح لي صوتٌ متفرّدٌ، قد أنجح يومًا وقد أخفق لا أعلم! الشعر بالذات لا يمكنك توقعه، ربما تصبح آخر قصيدة كتبتها هي آخر عهدي بالشعر وربما يجيء الصباح وقد كتبت ديوانًا كاملا متفرّدًا وغير مكرور، الحكم هنا ليس لي ولا لأحد، الحكم هنا للزمن».

تصرّح فودة أنّ الخوف كان العائق أمام تأخُر صدور نتاجيْها: «تجربتي في الكتابة تبدو مختلفة بشكل ما، أنا أكتب منذ عشرة أعوام، لم أنشر سوى في آخر عامين كتابَين متتاليين وهذا لخوفي من فكرة هل ما أكتب يستحق النشر، طوال هذا الوقت كنت خارج مصر».

تصف فودة علاقتها بالوسط الأدبي بالعلاقة الإلكترونيّة، وذلك لكونها تسكن في محافظة البحيرة في مصر، بعيدًا عن هذا الوسط المتمركزَة نشاطاته في القاهرة.

إصدارت وهواجس

صدر ديوانها الأوّل «بحة في عواء ذئب» عن الهيئة المصريّة العامة للكتاب 2021، وكان التجربة الأولى لها في كتابة نص مفتوح، كما أشارت: " كنت أجرّب أن ألتقط كل ما أستطيع التقاطه وأسجّله داخل قصيدة، فجاءت نصوص الديوان أشبه بفلاشات متنوّعة لكاميرا واحدة، نصوص مختلفة الإيقاع والموضوعات. ربما يربطها خيط واهن أظنّه كان لعبة الزمن أو الاصطدام بالواقع، كتبت هذا الديوان في الأعوام التي سبقت تخرّجي من الجامعة فكان محمّلًا برغبات استكشافيّة للعالم وربما أيضًا رغبة في تغيير هذا العالم، رغبة رومانسيّة وحالمة تمامًا تشبه جموح الشباب وثورته"

أمّا كتابها «شامة أعلى الرحم» والذي ذيّلته بعنوان (قصائد الغربة والأمومة) الصادر عن دار المتوسط العام 2023، فهو تجربة ممتدة من البنوة حتى الأمومة.

تقول: يبدأ شامة أعلى الرحم بقصيدة لسيدة تنتظر أن تصير أمًا، ومع تتابع النصوص تصبح هذه السيدة عالقة بين زمنين واتجاهين مختلفين، بين بنوّتها لسيدة أخرى وأمومتها لبنات أخريات، ثلاث أجيال يتعاقبن وبينهن السيّدة التي تتحرك داخل الزمن، في كل خطوة داخل رحلة الأمومة تستعيد الأم طفولتها البعيدة وتستعيد معها أمومة أمّها. ولأننا جيل قد تفتحّ وعيه على الخطابات الحديثة عن التربية والبعد النفسي الذي تتركه الطفولة وآثامها في رحلة الإنسان؛ تقع السيدة/الأم الحديثة في جدليّة ما الأمومة إذن؟ كنز مغلق وعلينا أن نكتشفه، لتخلص في نتيجة أن الأمومة غير ثابتة التعريف، هي رحلة مجهولة تتطور كل يوم بتطوّر الأجيال ووعيها، وبتطوّر وسائل المعرفة، فما كان مقبولًا بالأمس لا يمكنني ممارسته الآن مع بناتي، ومن هنا ومن هذه المفارقة تخرج نصوص الديوان من أمّ لا تثق في أمومتها وتنحصر بين أمومة جاهزة ومعلبة تستعيدها من طفولتها وأمومة حديثة ومجهولة تستكشفها وترصدها، وفي هذه الرحلة تتجلى أمور أخرى هامشية وبعيدة عن فكرة الأمومة والبنوّة والأبوّة أيضًا، لكن يربطها خيط واهن تحركه ذات هشة ومرتبكة.

نصوص وأمومة

تشير فودة أنّها تكتب في كلّ الأوقات والأمكنة: «وأنا في المطبخ وأنا في الطريق، في السوق، وأنا أرضع بناتي لم أتوقف أبدًا عن الكتابة».

وفي سؤال عمّا إذا كانت الأمومة قد أخذت من شغفها الشعريّ، تذكر: لم تسرق أمومتي شيئًا من الشعر بل على العكس فجّرت أفكارًا وفلسفات لم أكن أطرق بابها من غير طريق الأمومة، كما أنني تعرفت على نفسي عبر بابين أحدهما كان الأمومة وثانيهما الشعر، ضمدّ الشعر جراح الأمومة والآن تضمدّ الأمومة جراح الشعر، لم أعتد أمومتي حتى الآن وربما من هنا يأتي الشعر من عدم الألفة ومن السؤال المُلح كل صباح: من أنا؟

«هذا النص لا يليق بنهاية مجيدة

بنهاية الأم تبحث طيلة النهار عن فم لابنتها

بصيدلانيّة تتحسّس مواضع الألم

لتغرز فيها عصبًا جديداً

بنهاية تليق بزوجة نسيت أصابعها في المواعين

وحين احترقت الوجبة طبخت نفسها كبديل واقعي».

في هذا المقطع من ديوان "بحّة في عواء ذئب" تحاول فودة إعطاء لمحة عن كفاح امرأة تصنع مجدها الشخصيّ كصيدلانيّة وكأمّ وزوجة وكشاعرة تصنع أفق المعنى، وهي بذا تعكس صراعًا تألفه النساء العاملات الأمّهات في محاولاتهن للانفكاك من عقد الذنب ومن مشاعر التقصير وسوء التقدير.

وهو ما أبدعته في ديوانها "شامة أعلى الرحم" والذي ذيّلته بعنوان فرعيّ (قصائد الغربة والأمومة).

«أنا غريبة

هجرني الآخرون في متتاليات حسابيّة

كلّ أربعة أعوام يسقط مني جدار كنت آوي إليه

كل أربعة أعوام تنبت لي شامة أعلى الرحم

كل أربعة أعوام أعيد تأويل الحكايات.

وفي نص بعنوان «موت الأمّهات» تكرّس الشاعرة ألقها الأدبي وحسّها الأموميّ لنقد صورة الأمومة كما رسمتها النمطيّة السائدة، الأمهات المسؤولات عن كلّ تفاصيل حياة أزواجهنّ وأولادهنّ كحارسات لا يحقّ لهن التأفّف والاعتراض، «على الأمهات أن يمُتن بعد أن ينجزن واجباتهنّ المنزليّة...» فيبدو أنهن حتى في موتهن مسؤولات بل عليهن ألّا يمتن قبل ترتيب العالم:

«على الأمهات أن يرتبن العالم

ثم يرحلن في أي وقت».

وفي مكمن آخر تبدو الفكرة واقعيّة في معناها العميق والعظيم والذي يُظهر الدور الكبير الذي تؤدّه الأمّهات في حيواتنا. حتى يبدو العالم من دونهن فوضى وبلا معنى.

تقول في مقطع:

«يا أيّها الموت

أمهل أمّهاتك حتى ينُظفن أجسادهُن من كلّ الهزائم

حتى يجُففّن حليب الحزن في أثدائهن

حتى تلتئم أرحامهن بعد كلّ نطفة وتُشفى قلوبهن من عضّاتٍ اليأس...» وفي مقطع من قصيدة «إكسير الألم» تقول:

«أجرّ الألم كلّ صباح

أقطع تمدّد القسوة مع الحبال السريّة

وأطهّر لبن الأمّهات من تكرار المشقة

لست نبيّة

لكنّني أفتح صدري للريح

وأستقبل كلّ سيوف العالم

وأقول: لابأس.. سأموت

وسيولد من بعدي أطفالٌ بلا أحزان...»

تبدو تجربة فودة كمحاولة للقول والخلاص، تمثّل قصائدها الرغبة بالتحرّر عبر تداعي الأفكار والصور، هذه الصور التي على قدر واقعيّتها إلّا أن فودة تنجح في جعلها فنيّة ومتفرّدة وكأنّها لوحات انطباعيّة مرسومة بإتقان وبجماليّة على الرغم من رائحة الحزن الكافكاويّ الذي تفوح أصداءه بين صفحات نصوصها، وهي تصرّح عن تأثرها بفلسفة الكاتب التشيكي فرانس كافكا، والذي يبدو أنّها استلهمت منه سرياليّتها وسوداويتها في بعض المواضع، واهتمامها بالمواضيع النفسيّة.

تعكف فودة حاليًا على كتابة ديوان جديد، تأمل أن تنتهي منه قريبًا:

«لا أستطيع أن أتخيّل نفسي خارج إطار الشعر، الفكرة والعاطفة تخرج بشكل تلقائيّ في شكل نصّ شعريّ لا يمكنني تحييده أو إعادة صياغته في أي شكلّ ابداعيّ آخر».

ديوان بحة في عواء ذئب

الشاعرة الاء فودة

الفنانة التشكيلية الفلسطينية هنادي بدر لـ«الحصاد»:

أجعل من لوحتي الوطنية سفيراً

لطيفة حسيب القاضي: اليمن

تتميز تجربة الفنانة التشكيلية الفلسطينية هنادي بدر بخصوصية وتنوع مجموعتها الفنية، التي تجسد فيها نضال الشعب الفلسطيني ومعاناته؛ إضافةً للطبيعة وكل ما له علاقة بالسمو الروحي.

تجمع بين الفن التشكيلي والخط العربي بطريقة ملهمة؛ حيث تجسد الخط العربي بوصفه عنصرًا أساسيًا في لوحاتها الفنية، مشكلةً بذلك رسائل تعبيرية عميقة، تجسد جمال الانتماء لفلسطين، وتجسد مشاعر الغربة المرافقة للانقطاع عن الوطن.

اشتهرت أعمالها بتنوعها وغناها بالألوان والتفاصيل الفنية، التي يتناغم فيها العمق الفكري والفلسفي والجمال اللافت، وهو ما يعكس رؤيةً فنية تمزج بين التراث والعدالة، مما يمنح أعمالها بُعداً ثقافياً وتاريخياً عميقاً.

الفنانة التشكيلية هنادي بدر ولدت في مدينة الخليل عام 1975، وبدأت الرسم في سن مبكرة.

حصلت على شهادة الفنون الجميلة، إلى جانب دبلوم تأهيل تربوي في فلسطين، لتعمل فترةً قصيرةً في تدريس الفنون قبل سفرها إلى الإمارات، ثم إلى كندا.

في حصيلتها أكثر من عشرة معارض خاصة، إلى جانب العديد من المشاركات في المعارض الجماعية في فلسطين، والإمارات العربية المتحدة، وكندا، حيث تقيم مع عائلتها متفرغةً للعمل في مرسمها الخاص.

● «الحصاد»: في مستهل الحديث. عرفيني بهنادي بدر صاحبة الريشة المبدعة المتميزة والقلم الراقي؟

○ هنادي بدر: عندما يُطلَبُ مني الحديثُ عن نفسي والتعريف بها لا أستطيعُ أن أتجاهلَ رؤيةَ تلك الطفلة التي كانت ترى (الصغرَ سنها وحجمها) أن الوطن كبير واسع، حارات وأزقة البلدة القديمة في مدينة الخليل شهدت في بداية الثمانينات أولى معارضي، حيث كنت أرسم لوحاتي بالطبشور على ألواح صغيرة كانت موجودة في مقهى جدي «قهوة بدران» وأنا طفلة لم تتجاوز الخامسة من العمر، هناك كانت أولى معارضي، وبعدها كانت جدران مدرستي هي صالة الفن التي احتضنت خطوطي البسيطة وألواني التي حكت الكثير عن تلك الطفلة، كبر حبي للفن وكبرت الطفلة. عندما أنهيت دراستي الثانوية بتفوق في الفرع العلمي.

رأيت أن أكونَ مخلصةً لشغفي وحلمي، وأن أصقل موهبتي بالرسم من خلال الدراسة، حتى تخرجت من كلية فلسطين تخصص تربية فنية، بالإضافة إلى دبلوم تأهيل تربوي، لأعمل لسنتين معيدة في قسم الفنون في رام الله، إلى جانب كوني طالبة في جامعة النجاح، ولفترة قصيرة كانت عاماً واحداً عملت مدرسة للتربية الفنية في الخليل، وبعدها انتقلت للعيش في دبي، والتي كانت محطة ثانية مهدت لسفر أبعد، إلى أن استقر مقامي وعائلتي في كندا.

● «الحصاد»: نتحدث عن الذي يحدث الآن في فلسطين والإبادة الجماعية البشعة؟

○ هنادي بدر: فلسطين كانت دائماً في صراع ومعاناة مستمرة، أرض وهبت قبل أكثر من 75 عاماً لغريب ظل ينهب الأرض ويغتصب كل يوم مزيداً من المنازل والأراضي، يشرّد ويقتل ويهجّر شعباً كاملاً، لا يبحث عن سلام وإن ادّعى ذلك، هو عدو لا عهد له، وكل التجارب والمحاولات لإيجاد حل كانت نهايتها المزيد من الخداع والتضليل والاستمرار بسرقة الأرض والتضييق على الشعب. غزة كانت دائماً عصية على الاحتلال، وكان لها النصيب الأكبر من التضييق والحصار المستمر الذي اشتد ووصل ذروته قبل عشرين عاماً، لتصبح غزة أكبر سجن على هذه الأرض، لكن أهلها يحبون الحياة ويطلبون الحرية والكرامة، وهذا يزعج المحتل الذي تذرّع بأحداث أكتوبر، لتكون حجته لمزيد من التنكيل والقتل والدمار، مدن كاملة تم تدميرها، بيوتها، مدارسها، مستشفياتها، كنائسها وجوامعها؛ لا حدود للشر والانتقام، أطفال، شيوخ، نساء، كل ما هو ومن هو فلسطيني هو هدف لهذا المحتل، لكن هذا الحدث الكبير والإبادة الجماعية التي يشهدها جيلنا اليوم هي الجريمة الأكبر في تاريخ الإنسانية، وهي وصمة عار على هذه الأنظمة التي صمتت وتواطأت ولم تنهض لرفع هذا الظلم؛ سيذكر التاريخ التخاذل والضعف لكل من تفرّجوا ولم يحركوا ساكنًا لنصرة هذا الشعب المعذَّب، عندما درسنا تعريفات الفن، كانت إحدى تلك المقولات أن الفن أكثر تعبيراً عن الحقيقة من الواقع ، لكن ما يحدث في غزة هو الأصدق والأكثر تعبيراً عن الواقع والحقيقة المؤلمة، تقف الحروف وتفقد الريشة والألوان قدرتها عن نقل مرارة ما يحدث، غير أننا نحاول نقل ورسم بعض المشاهد التي قد تختصر الوقت وتوصل الرسالة للآخر، مهما كانت لغته وهويته؛ فلوحة فنية قد تلخّص مقالاً طويلاً وتوصل رسالةً قوية للعالم، من خلال هذه الخطوط والأفكار والألوان، هذه رسالة من رسائل الفن الملتزم بقضايا الأمة والإنسانية.

● «الحصاد»: تم افتتاح المعرض الفلسطيني الفني الأخير لك في كندا، وتضمن المعرض مجموعة من اللوحات المعبرة عن واقع القضية الفلسطينية بجوانبها المختلفة.. حدثيني عن ذلك؟

○ هنادي بدر: صحيح، تم افتتاح معرضي الأخير في كندا، والذي جاء مرافقًا وضمن فعاليات معرض الكتاب العربي الكندي في مدينة مسيساجا، كانت دعوة كريمة من إدارة المعرض التي خصصت اليوم الثاني من أيام معرض الكتاب لفلسطين، وتسليط الضوء على الثقافة الفلسطينية وكتّابها ومبدعيها، ضمّ معرضي الشخصي عدداً من اللوحات التي وصفت فلسطين بأسلوب تعبيري، مستخدمةً بعض الرموز، كالمفتاح، وهو رمز حق العودة الذي لا تنازل عنه، وزهرة الحنون (شقائق النعمان) التي ترمز للشهداء، والعيون الكبيرة التي تميز الشخوص في لوحاتي، وهي عيون المحب الواسعة التي تسع وتلملم كل جماليات الوطن. بعض اللوحات تحدثت عن الأطفال الناجين من الحرب يحملون ما يحلم به الطفل البسيط، دميةٌ أو حيوان أليف، ما تمكّن هذا الطفل من إنقاذه.

بالإضافة إلى مجموعة من اللوحات كانت من لوحات معرضي الذي أقمته افتراضيًا في الـ2020 والذي كان بعنوان أنا وناجي، وهو معرض حاولت فيه إعادة التذكير بأعمال ناجي العلي فنان الكاريكاتير الغني عن التعريف، حاولت إعادة تجسيد بعض أفكاره، وتحويلها إلى لوحات فنية ملونة وبأسلوبي الخاص وببصمة جديدة؛ وكان الهدف كما ذكرت إعادة التذكير بأهمية هذه الأعمال وتكريم الفنان الراحل ناجي العلي، إضافةً إلى أعمال جديدة تحكي جمال فلسطين والقدس بأقصاها ورموزها.

● «الحصاد»: كيف دخلت عالم الفن، حدثيني عن أول لوحة لك، ومن الذي شجعك. حدثيني عن أساتذة لهم عميق الأثر في تجربتك؟

○ هنادي بدر: عند بداياتي كطفلة عشقت الرسم ووجدت فيه متنفسًا للتعبير ورسم الجمال، كنت أتلقى كلمات الإطراء من معلماتي وزميلاتي وأفراد عائلتي، وأكيد هذا ما جعلني أشعر بأنني شخص مميز خصوصاً عندما كان التشجيع يصدر من معلماتي، وكنت أحب متابعة بعض المعارض التي كانت تقام في مدينتي على بساطة هذه المعارض، ربما لتضييق الاحتلال في تلك الفترة على الفنانين، لإدراكهم أهمية وقدرة الفن المقاوم على نقل ما يحدث إلى العالم. في مدينتي وخلال طفولتي أعجبت بأعمال الفنان عيسى عبيدو رحمه الله، وكنت أيضاً من أشد المعجبين بأعمال الفنان الراحل إسماعيل شموط وأعمال الفنان سليمان منصور أدام الله عليه الصحة والعافية، وربما كانت أعمال هؤلاء الفنانين هي مدرستي الأولى، ومن الفنانين العالميين أعتقد بأني تأثرت بالفنان ڤان كوخ من ناحية اللون، وتأثرت في مرحلة من مراحل تطوري فنياً بخطوط وتكوين اللوحة عند بيكاسو، وفي النهاية إن زيارة المعارض الهامة في كل من إيطاليا، وإسبانيا، وأمريكا، وكندا، وزيارة تركيا بفنونها المختلفة، ومصر بفنها وتاريخها العريق، ومتاحف لندن وإيرلندا؛ كل هذه الزيارات والمشاهدات أثرت وساعدت في تشكيل وتكوين أسلوبي الخاص الذي أبني من خلاله لوحتي الفنية.

● «الحصاد»: من أين تستوحين أفكار رسوماتك حيث نجد لك بصمة مميزة في لوحاتك؟

○ هنادي بدر: مصدر لوحاتي هو البيئة والمكان الذي عشت فيه، ربما الفنان بشكل خاص يبني علاقة مختلفة ومتميزة بمحيطه، فهو لا يمر على زهرة إلا وحمل من ألوانها وعطرها وشكلها ما يغني ذاكرته وحسه، ولا يمر بموقف إنساني إلا وترك فيه عميق الأثر، فهو صاحب ذاكرة وقلب وفكر يترجم على صفحة بيضاء فتولد لوحة، تروي وتحكي الكثير، قد تحكي جمال وإبداع الخالق، وقد تروي قصة طفل، أو معاناة شيخ، أو ألم أسير، أو جرح وطن. الفن جمال وهو أيضاً فكر ورسالة، ومن هنا حاولت أن أجعلَ من لوحتي الوطنية سفيراً يحكي ويروي ألم شعب هُجِّر و سُجن وعُذِّب؛ لوحتي تحكي ألم طفل فقد أمه وبيته وأباه، لوحتي تحكي جرحنا وجعنا وفقدنا جميعاً، وهي ترسم جمال وطننا، وتروي أفراحنا وأتراحنا؛ لوحتي هي تجسيد شوقي لفلسطين، وحبي لشقائق النعمان، ولضوء تبثه قبة الصخرة من القدس، ولكل ما يرمز للوطن.

● «الحصاد»: الفنانة الفلسطينية هنادي بدر كيف تنظرين لبيع اللوحات، هل هناك لوحات ترفضين بيعها؟

○ هنادي بدر: لوحاتي جزءٌ من عائلتي، لكلِّ لوحة معزتها ومكانتها الخاصة في قلبي، بعض اللوحات أرفض بيعها وهي ضمن مجموعتي الخاصة، وبعضها متاح للبيع ومتوفر لمحبي الفن الذين يرغبون باقتناء اللوحة الفنية، التي تتميز بأنها عمل يدوي يعكس تجربةً وفكرًا خاصًا، وفيه روح من أنتجه.

● «الحصاد»: نلحظ أنك برعت في رسم وتصوير المناظر الطبيعية، والمواضيع التي تتحدث عن القضية الفلسطينية بأسلوب انطباعي وتعبيري قوي، هل هذا حنين لماضٍ لن يعود؟

○ هنادي بدر: صحيح، اللوحةُ هي نتاج تجارب حياتية متراكمة،

تتأثر بالبيئة والأحداث؛ وهي إما لوحة بنت حاضرها تتبلور فكرتها نتيجة أحداث يومية وسياسية معيشة، أو أنها نتاج ماض وتراكمات تجارب سابقة وأحداث أصبحت ذكرى وحنينًا لماض لن يعود بكل مواقفه وأحداثه الهامة أو المواقف البسيطة. اللوحة قد تكون حنينًا للوطن أو الأهل ورفاق الطفولة؛ حنينًا للأرض والشجر والأزهار، فتجد في لوحاتي شقائق النعمان من كل فلسطين، والبرتقال من يافا، وعنب الخليل، وزيتون طولكرم؛ وتجد في لوحاتي أطفالًا يشبهون أصدقائي وأقربائي وجيراني، نعم إنه الحنين أرسمه لونًا، وأكتبه خاطرةً أو قصيدة.

عندما كنت في الإمارات استخدمت الرمال كأساس يغطي قماش لوحتي ثم لونت الرمال بألواني وبنيت لوحة، وفي كندا تعثرت على شواطئها بحجر صغير حملته إلى بيتي وصنعت منه لوحة، جميل أن نحول مواقف صعبة في الحياة إلى شيء إيجابي وجميل، وجميل أن نعود للطبيعة الأم، ونستخدم خيراتها بكل نافع وفريد.

● «الحصاد»: لوحاتك الفنية التي رسمتها وفق مدارس وتقنيات وأدوات متعددة للحكاية الفلسطينية، وهوية الفلسطينيين، ومظاهر الحياة، ما طقوسك في رسم اللوحات؟

○ هنادي بدر: عندما أستعد لرسم لوحة تكون الفكرة كوحي يهبط محملاً بصور مختلفة غير واضحة، أضع أمامي صفحة بيضاء، وأبدأ بترجمة ورسم الفكرة؛ كل ذلك بعد أن أتحرر من مسؤوليتي كأم وزوجة، فأنا لا أستطيع العمل بحرية إلا بعد أن أكون متأكدة أنني قمت بكامل واجباتي تجاه عائلتي وبيتي، لأتفرغ لعملي الفني ولوحتي، وأعطي وقتي وتركيزي الكامل لتحويل فكرتي إلى بناء وتكوين وخطوط وألوان نابضة تحكي قصة، أو تضيف جمالًا لهذا العالم.

● «الحصاد»: ما رأيك بالحركة النقدية للفن التشكيلي، هل أنصف النقد تجربتك، هل تعرضتِ للنقد السلبي؟

○ هنادي بدر: من المؤكد أنَّ النقدَ الفني البنّاء له دورٌ مهم في تحليل وتفكيك ما هو مركب، لقراءة يكون هدفها الإشارة لما هو مميز ليستمرَ ويتطور، أو لبيانِ نقاطِ ضعف ليتمَّ تفاديها في مرات قادمة. النقد البناء للتكوين وتقبل منتج العمل لهذا النقد من شأنه تطوير الحركة الفنية والارتقاء بمستواها، ما زالت الساحة الفنية في الوطن العربي بحاجة إلى محترفين ذوي كفاءة، ليقوموا بهذا الدور المميز. أحياناً يقع البعض في فخ الرؤية الخاصة والذوق الموجه، خصوصاً أنَّ في الفنِ مجالًا واسعًا لتنوع الأفكار، وأساليب التنفيذ، واختلاف التوجهات والمدارس.

لم أتعرض لنقد سلبي، وكانت تجربتي جيدة خلال سنوات عملي في الفن، الحمد لله كانت الأصداء دائماً إيجابية محفزة، والنقد الذاتي هو نقد مهم يبني ويطور الفنان الذي يبحث دائماً عن التجديد، ولا يكون فريسة للغرور الذي قد يحد من التطور والتجديد والإبداع.

● «الحصاد»: الفنانة التشكيلية الفلسطينية هنادي بدر عملت عضواً في هيئة تحرير صحيفة البلاد الصادرة في مدينة لندن (كندا)، وكتبت فيها مدة ثلاث سنوات، حيث كانت الزاوية الخاصة بك والتي تحمل عنوان: (مذكرات امرأة كانت هناك) هل تعتبرين الكتابة نافذة ومتنفساً تبثين من خلاله شوقك وحنينك للوطن؟ هل كانت الغربة محفزاً للكتابة؟

○ هنادي بدر: فعلاً كانت كتاباتي المتواضعة متنفساً ونافذة أطل من خلالها على ذكريات الطفولة في وطني الأم، هناك حيث كبرت ونشأت وعشت عمري الأجمل، متحررة من أعباء الكبار ومسؤولياتهم، الكتابة كانت تساند الريشة والألوان في رسم هذه الذكريات والحديث عنها، بدأت بالكتابة كهاوية وعاشقة حرف وما زلت، كتبت في صحيفة البلاد ثلاث سنوات، وجمعت هذه الكتابات في كتابين، طبع الأول وهو بعنوان (من مذكرات امرأة كانت هناك)، وأحضر الآن لطباعة الجزء الثاني من الكتاب الذي يحمل نفس العنوان. نعم الغربة كانت المحفز للكتابة، فقد كان الحنين شعوراً مستمراً وهو إلى اليوم لا يهدأ ولا يرتوي، تركنا الوطن ولم نعد من ساكنيه، لكننا سكناه حقيقة وواقعاً، إنه معنا أينما حللنا.

● «الحصاد»: ما رؤيتك لواقع الفن التشكيلي حالياً والتشكيليين الشباب، وأيهما يؤثر أكبر في صقل الموهبة، الدراسة أم جمعيات الفنون التشكيلية، وهل تقومين بتشجيع موهبة الشباب؟

○ هنادي بدر: نلحظ في السنوات الأخيرة ازدياد عدد الفنانين والرسامين، ربما يعود ذلك لعدة أسباب: منها أن التكنولوجيا ومواقع التواصل والإعلام الرقمي ساعدت جميعها على توفير دروس في الفن للموهوبين في بيوتهم، دون الحاجة للالتحاق بمدارس فنية وتكبد عناء التنقل وتكاليف الدروس، وهذا شجع الكثير من الموهوبين الذين طوروا أنفسهم وقدراتهم، وبالإضافة إلى أن تقدير الفن والفنانين أصبح أوضح في وقتنا الحاضر في مجتمعاتنا العربية، وهذا ما كان الغرب سباقًا إليه، ففي الغرب يقدّرون كلَّ عمل ينتج يدويًا، ويعتبرون أن فكرة أقتناء عمل فني وضع فيه الفنان الكثير من الفكر والروح الخاصة والوقت والعمل المستمر هو شيء جميل ومميز.

أشجع الشباب الهواة والموهوبين على صقل موهبتهم بالدراسة، فقوة بناء العمل من ناحية توفر عناصر العمل الفني وتوظيفها بشكل جيد ومدروس مهم، كأهمية الفكرة وطريقة وتقنيات التنفيذ؛ وأحثهم على كثرة التجريب، فالعمل المستمر هو الطريق للتطور، وزيارة المتاحف والمعارض تفتح آفاقًا جديدة وتساعد على بناء مخزون بصري وأن تكون على علم بآخر ما توصلت إليه تجارب ومدارس الفن غير المحدودة، وإن لم يكن ذلك متاحاً بشكل كبير فأشجعهم على التأمل ومصادقة الطبيعة، الملهم الأول والمحفز المستمر. ■

وجهة نظر

في سقوط أقنعة العظمة الدولية

البروفسور نسيم الخوري*

ما هو مستقبل السياسات الدولية أوّلاً حيال غزة بعد الـ 2023 وثانياً حيال فلسطين بعد 76 عاماً منذ الـ1948؟ التاريخ طويل وثقيل وفوق جبهته الكوارث الدموية الرهيبة والأغطية السميكة فوق وجه «إسرائيل» حبيسة القوسين أمام الحضارات الإنسانية وعند الكتابة بالعربية ؟

قبل الجواب أذكّر سقوط البرجين في نيويورك في هجمات 11 سبتمبر 2001 حيث لم تر عيون البشر مشهد سقوط نقطة دمٍ واحدة على الشاشات. يسحب سؤالي الأقنعة عن وجه البشرية في عصرنا الفضائي المسكون بتبادل الصور والحرائق والحقائق وتعميمها مهما تشوهت أو تلطّخت حتى ولو كان مصيرها الـdelete بهدف وصم التخلف والوحشية بالعرب عبر استراتيجيات التحريض والتفريق والإدّعاء بثورات الرقعة السمراء في آسيا وإفريقيا والشرق الأوسط بشكلٍ عام لكأنها تطالب العرب تحقيق ثورتهم الكبرى بالقوة، تماماً كما حققتْ (؟) المسيحية ثورتها بدءاً من عصور التنوير خلال 300 عام ولم تسقط الأقنعة عن وجوه العظمة؟

يدخلنا السؤال فوراً أمام السلوك أو التفكير بالفكر التاريخي الإجرامي عبر مواقع وعناوين وحروب لا علاقة لها بمفهوم الحضارات البائدة ولا حتى بـ «الحق بالحياة» في عصرنا هذا المخيف. لو أخذنا "إسرائيل" منذ 1917 مروراً بال 1948 ثمّ 1967 وأغمضنا عيون التاريخ عن الحروب والمذابح المتسلسلة حتى طوفان غزّة في 8 أكتوبر 2023 لانشقت مشاهد القتل والتهجير والتفريق والتشتيت وتدنيس المقدّسات حتى السماء في مختلف الأرجاء والعواصم والشاشات، وتيقنت بأنّ معضلة التوتر الأساسية التاريخية ليست عند العرب والمسلمين ولا عند المسيحيين بقدر ما هي عند إمبراطورية تدمغ العظمة بالتدمير ومدّ اليد زرعاً وتزكية للخرائب ولو كانت منشغلةً بانتخاب رئيس للبيت الأبيض البيضاوي الذي فقد بياضه ولم يبق سوى مشاعيات السلاح وولائم الذبائح والسيطرة وتدمير مفاهيم الذكورة والأنوثة وخريطة الخلق في طبائع وعلاقات البشر.

ما العمل؟

تسقط الحلول الدولية المتكررة والصفراء في لقاءات الرؤساء والسفراء بياقاتهم المنشّاة وابتساماتهم الصفراء وإحتقاراتهم للبشر من دون غطاء، فتنتشر الذبائح وفق عصف الرياح بالنار حيث لا وجهات ولا مسارب واضحة أو مرسومة. هذه ظاهرة معاصرة تصادفنا مفكّرين وأساتذة الجامعات نتخاصم حولها لا في مؤتمراتنا العربية وحسب، بل في أوروبا وأمريكا إذ يشتدّ النقد والنقض الجذري لسياسات الإنحطاط الغربية المائعة لكأنّ قلقاً أصاب الشابات والشباب في الغرب كما من الشرق.

أي عالم هذا سليل العجز للإبقاء على «إسرائيل» رصيداً مؤجّلاً ومخزوناً استراتيجياً للخرائب والحرائق وتذكيتها وهندسة الحاضر والمستقبل حيث لا فرق بين متشدّد وآخر أو بين تكفيري وآخر وتنظيم وآخر إلاّ بالموت والتفنّن بإرهاب الحاضر للقبض أبداً على المستقبل.

هذه معادلات عرفها واكتوى بها تاريخ الشعوب بما لا ولن يحوقه نص يفسّر للأجيال الفرق بين الإنصاف والعدالة عندما يتكلّم ممثّلو الدول أو تُبشّر المؤسسات والمنظمات الدولية بالمساواة ؟

سؤال طازج من غزّة:

ماذا يفعل الرضيع تحت طائرة تقصف؟

تقصفه وقائدها في قمرته المبرّدة تعصف فيها أنغام أوبرا هايدن يلتهم «البيغ ماك» بينما تلتهم قذائفه الأبرياء والشعوب والبيوت زارعاً بقايا الإعاقات بطول الأرض وعرضها طامحاً ترويضها من الفضاء أو عبر الشاشات والنصوص والحسابات التي تُورث العبثية والهزائم والخرائب والأحقاد البشرية. عندما يتساوى الموت بالحياة، يتحوّل الشرّ والإنتقام الى أنماط من اللذّة السادية في الأرحام ولدى الأجنّة تكسوها المخيّلات والأحلام عند البلوغ إلى ما شاء التاريخ الأسود.

هكذا يحدّق الإنسان المقهور التحديق في وجه الموت ليواجهه بلغات البشر أو بلغات الحيوانات المفترسة وهما يتساويان عند اللحظة.

يتصوّر المغالون في القتل وإبادة الشعوب أنهم يحقّقون ربّما أسطورة «أنكيدو» أو «غلغامش» البابلي قبل آلاف الأعوام. تحالف الأوّل مع الثاني حتّى ساواه في قوّته وبطشه لينشب بينهما قتال عنيف ، كما يحصل في الغالب، ارتبطا بصداقة قويّة تحطّمت بموت "أنكيدو" المأساوي . وطاف «جلجامش» يبحث عن أسرار الخلود بعدما أسرته صدمة الموت وهو مدمّى من معركته. هكذا ظهر القلق الذي كرّس الفكر الوثني في النص القديم وفي السلوك اليهودي الذي تجذّر في أرض الغرب ثمّ في الشرق إذ امتدّ بالقساوة الكبرى نحو المسيحية إذ تناول اليهود رمزهم ليغدو في عقائدهم الذبيحة التي بها اكتفى الرب والتي لم تعتق البشرية من الإمعان في تقديم الذبائح للتكفير عن ذنوبهم وجنونهم وخطاياهم. واستمرّ المسلمون أصحاب كلمة الله الثالثة الأخيرة بتقديم الذبائح تنقيباً عن القيم الكبرى والغفران، مع أنّ الإسلام تجاوز الكلّ بحكمة واضحة هي وهم المساواة.

تبقى مسألة العدل والإنصاف محنة الفكر والسلوك البشريين. عندما تحصل المساواة يقوى التنافر والتغاير وقد يقود نحو الإيذاء والقهر وربّما القتل والإلغاء إن لم يلمس أحد المتساويين نعمة العدالة والإنصاف في تساويهما. هذا هو التاريخ الثابت بين حتميّة الموت واستحالة الخلود متعلّقتين بقلق الإنسانية العاجزة عن مجابهة الموت في كلّ زمان ومكان.

أخيراً. تُرى من هو «أنكيدو» ومن هو «جلجامش»؟

لا حاجة لهرش الشعر وإعمال العقل والفكر لأنّ الأسماء تتعادل وقد تتشابه في زراعة القتل لدى العابرين في أزمنة عابرة تمشي على مهل بل على رؤوس أصابعها الى درجة تتعادل فيه الحياة بالموت باعتبار أنّ الوجه الآخر المظلم للحياة هو الغياب.

يسترسل هذا التوجّه باسطاً وليمته الدموية المتجددة أمام عيون شعوب العالم الجائعة الى العنف المقيم كيفما تطلّعت. إنه جاذب في إغراءاته، إذ يظهر مشحوناً أو مبشراً بروائح الليبرالية والعدالة وفضائل الجمهورية والحرية الفردية في العالم والديمقراطية والمصطلحات الفاشلة التي لم تستطع الشعوب تذوق معانيها. هي مصطلحات للإنقضاض على المجتمعات، لكنّ حتّى الكتاب الذين كتبوها أو الفلاسفة أو الأنظمة التي تروّج لها بإسم الحضارة، تبدو موشّحة بـ أنكيدو وجلجامش وقايين وهابيل. ■

كاتب لبناني وأستاذ مشرف في المعهد العالي للدكتوراه.
* عضو الهيئة العليا للإشراف على الإنتخابات في لبنان
drnassim@hotmail.com

فنُّ الردّ بين العرفانية والرواقية... مقامات وضوابط

د. حسين رشيد الطائي: لندن

قسّم الفيلسوف الكبير ابن سينا قوى النفس الى ثلاثة أقسام هي؛ النفس النباتية، والنفس الحيوانية، والنفس الناطقة. وقال ان النفس النباتية تتعلق بكمال الجسم وتغذيته ونموه. أما الحيوانية فهي التي تختص بإدراك الجزئيات وفق الإرادة؛ وتشمل القوى (الشهوانية) و(الغضبية). فيما عبّر عن النفس الناطقة بأنها تكامل الجسم من حيث الأفعال الحادثة بالاختيار والرأي وإدراك الأمور الكلية. كما قسّم القوى الناطقة لقسمين عاملة وعالمة وكلاهما يشكل العقل بماهيته المعروفة؛ غير ان العاملة هي التي تحرك البدن، أما العالمة فتلك التي تختص بالتفكير والإرادة. وهذا ما يصطلح عليهما بـ(العقل النظري) و(العقل العملي).

ومن المعروف على المستوى التجريبي والواقعي الإنساني صعوبة السيطرة على النوازع.

ورغم تميّز الإنسان هذا الكائن المتفرد في الخلقة والخُلُق بمواءمته مع هذه القوى والنوازع؛ إلّا انه لا يمكن له أن يعيش من دونها. وذلك لأنها أصل خلقته وطبيعته.

ومن الضروري ان يكون ضبط إيقاع هذه القوى والنوازع المتشابكة حجر الزاوية في سير الإنسان وسلوكه في الدنيا خلال رحلته للوصول الى الكمالية المرتجاة.

ويُعدُّ الغضبُ أحدَ أكثر النوازع التي يجب على الانسان أن يسيطر عليها ويحتويها. إذ غالبا ما يسقط الكثير من الناس ضحايا لهذه النزعة النفسية الشهوانية.

ولقد اهتم العلماء قديما وحديثا بمسألة الغضب ودعوا لضرورة السيطرة عليه. وقد حثوا على ضبط إيقاع الغضب سواء أكان من جهة الفعل أو ردّ الفعل.

وتلعب كلٌّ من الثقافة والبيئة والمجتمع أدوارا مهمة في لجم هذه الثائرة. لذا، من البديهي أن نرى تبايناً واضحاً في مسألة التعاطي مع الغضب وردّ الفعل. فربّ إساءة كان ردّها مسيئاً أكثر منها. ورب إساءة كان ردّها جميلا على غير المتوقع. حيث ان تنوع الردود ناجم عن استعمال العقل والسيطرة على النوازع النفسية.

وفي تعمقنا لدراسة الضوابط والمقامات التي تحكم هذه النزعة يجب أن نفهم أولاً أن الرّدُّ في اللغة هو صَرْفُ الشّيْء، ويأتي بمعنى المَنْع والرَّفْض والإعادَة والإرْجاع. يقال في العربية رَدَّهُ إلى مَنْزِله، أيْ أعادَهُ، وردَّ إلَيْهِ جَواباً، أيْ أرْجَعَهُ وأرْسَلَهُ. فالردُّ في المحصلة اللغوية هو أرجاع الأمر وإعادته سواء بمثله أو متغيرا عنه. وهذا يعني أن يقابل الردُّ بردٍّ مثله لا أكثر منه. وقولنا متغيرا عنه نعني بأقلّه وليس أكثر منه.

وفي حين تنقل لنا كتب التراث والتاريخ والسير نتفاً من النوادر واللطائف في الردود، إلّا أن الموضوع يحتاج الى وقفة طويلة وتأمل وإعادة نظر فيه ودراسته وتحليله؛ لأنه من الأهمية أن نصل الى جذوره ومكامنه والضوابط التي تحكمه وهذا هو لبُّ الأمر.

ومن الردود اللطيفة التي تبيّن الذهن الحاضر والعقل المتوقّد ردّ الفضل بن الربيع وزير هارون الرشيد على سؤال الأخير حينما رأى في بيته ذات مرة حزمةً من الخيزران. فسأل ما هذه؟ فأجابه الفضل عروق الرماح يا أمير المؤمنين. وذلك لأن زوجة الرشيد كان اسمها الخيزران فلم يشأ الوزير ذكر اسمهما تأدبا في حضرته.

ومثل ذلك أيضا ما ورد في كتب التراث أن أحد الخلفاء سأل ابنه ذات مرة مختبرا إياه عن جمع مفردة مسواك. فأجابه ولده بأدب جم؛ جمع مسواك هو (ضد محاسنك يا أمير المؤمنين). وذلك لأنه لم يشأ أن يتلفظ بجمعها أمام والده ويقول (مساويك).

ومنها أيضا ما نُقل عن العباس عندما سُئل أأنتَ أكبرُ أم رسول الله صلى الله عليه وآله سلم؟ فأجاب قائلا (هو أكبر مني وأنا وُلدتُ قبله).

لكن على الجانب الآخر هناك ردود اتخذت طابع السخرية والتنمّر والتوحش حتى. ومثلها ما ورد عن الجاحظ مثلا أنه التقى يوما بامرأة قبيحة بأحد حوانيت بغداد فقال (وإذا الوحوش حُشرت). فنظرت المرأة إليه وقالت (وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه).

وأيضا ما جرى مع المتنبي أن رجلا أراد إحراجه. فقال له رأيتك من بعيد فظننتك امرأةً. فردّ عليه المتنبي قائلا وأنا رأيتك من بعيد فظننتك رجلاً.

وأيضاً نُقل أنّ أعرابياً فظّاً اعترض الشاعر بشار بن برد قائلا له: ما أعمى الله رجلاً إلّا عوّضه، فبماذا عوضك يا بشار. فأجابه بشار (عوضني بألّا أرى أمثالك).

وحديثا نُقل عن الأديب الساخر المشهور برناردشو أنه في إحدى المناسبات اعترضه كاتب مغرور قائلا له (أنا أفضل منك، فأنت تكتب بحثاً عن المال، أما أنا فأكتب بحثاً عن الشرف) فردّ عليه برنارد شو، صدقت، فكلٌّ منّا يبحث عمّا ينقصه. ومنها أيضا أن تشرشل قال له يوما من يراك يظن أن بريطانيا في أزمة غذاء (وكان شو نحيلا). فردّ عليه شو بلطف يوازيه (ومن يراك يعرف سبب الأزمة).

ومن أجمل الردود اللطيفة الإخوانية؛ ما جرى بين شاعرين لبنانيين مهجريين أحدهما يدعى نعمت قازان وكان لديه مصنع أحذية وصديقه توفيق ضعون. وفي السياق أرسل نعمت إلى توفيق حذاء ومعه بيتان من الشعر على سبيل الطرفة قال فيهما:

لقد أهديتُ توفيقاً حذاءً
فقال الحاسدون وما عليه
أما قال الفتى العربي يوما
شبيهُ الشيءِ منجذبٌ إليه

فردَّ عليه صديقه توفيق ببيتين قال فيهما:

لو كان يُهدى إلى الإنسان قيمته
لكنتُ أسألَكَ الدنيا وما فيها
لكنْ تقبّلتُ هذا النعلَ معتقداً أنَّ
الهدايا على مِقدارِ مُهديها.

جدير بالذكر أن الحكمةَ تحث على الصبر وترك الردود المسيئة.

كما حث القرآن الكريم في كثيرٍ من آياته على أن يكون الردّ متماثلا؛ وان لم يكن هناك تماثل فالأولى الترك والصبر؛ ولو أنه يرجح الصبر وعدم الردّ في موضوعات الإساءة والإضرار. بل إنهُ يبشر الصابرين بالخير والمثوبة من عنده تعالى. فقال (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ. وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ. إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ). وقال أيضا (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى).

ليس هذا فحسب، بل ان القرآن يكشف لنا أنَّ مساوئ الرد في بعض الأحيان قد تتجاوز الإساءة والضرر الحاصل من جرائه؛ فيحث على عدم الرد (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ). وقال أيضاً (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ).

بَل أنه يؤكد ان الردَّ قد يؤدي في بعض الأحيان الى الذنب وعدم الطاعة؛ لذلك يؤسس قاعدة أخلاقية مهمة قوامها الخوف من الله واتباع أوامره، قال تعالى (لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ).

وقد أخذ موضوع الغضب والردود مساحة ليست بالقليلة في بحوث ومدونات علماء الفلسفة والنفس والعرفان. فذهب العرفانيون الى ان النفس الانسانية لها حركات غالبا ما تكون مقارنة للظلم، وقالوا ان هذه الحركات شيطانية خارجة عن الفطرة الالهية العقلية. وكما أنّ للنفس حركات فللقلب هو الآخر حركات أغلبها مقارن لميزان الفطرة الالهية. وإذا كانت حركات النفس علامتها الحدّةُ والطيش والعجلة والعمى والنظر القاصر للأمور وعواقبها، إلّا ان علامات حركات القلب تتمثل بالتؤدة والسكينة والوقار والبصر النافذ لعواقب الأشياء وحقائقها وفق المنطق العقلي الراجح.

وفي سُنن الله الكونية التي جَبُل الانسان عليها أن توضع هذه القوى والحركات كلّها في مصلحة الانسان لكن شرط أن يستعملها دون زيادة أو نقيصة؛ فلا بغي ولا ظلم في طرف الإفراط ولا قصور أو إبطاء أو فتور في طرف التفريط.

وربما كانت هذه القاعدة الأساس المتين في التفريق ما بين الحدود الفلسفية المعروفة (لا إفراط ولا تفريط) والتمسك بالحالة الوسطى المعتدلة؛ فهي الأساس في التمييز بين الحالات والصفات والنعوت؛ مثلَ ما بين العوارض الظاهرة والباطنة كبين العزة والكبر والشجاعة والبغي والعفّة والشَبَق والتواضع والذلة والظلم واللين والمداراة والمداهنة وغيرها.

فالشجاعة وهي صفة محمودة يقارنها الصبر والعدل وفق قاعدة وضع الشيء في موضعه. فاذا حدث إفراط أصبحت الشجاعة بغياً وصارت رذيلةً، ومنه كذلك الغضب والردُّ على الإساءة كون الردّ فيه جانبان أولهما ردّ لله تعالى وثانيهما ردٌّ للنفس؛ فما كان لله كان الردُّ وفق الضوابط والمعايير والأحكام التي ثبّتها الله تعالى، والعمل بها لا يؤدي حتما الى خروج النعوت والأوصاف عن حدودها المعروفة. أما اذا كان الردّ للنفس فقد يتعدى ذلك الحدود كما هو معلوم. لذا فإن أعدل الأمور أوسطها؛ أي حالة الوسط ما بين الإفراط والتفريط.

ففي حين كَفل الله تعالى للمظلوم ردّ مظلمته وأخذ حقه ممن ظلمه أو أساء اليه، إلّا أنه شرَط عليه ان يكون الردّ بالمثل لا غير وإلّا خرج الردّ عن مشروعيته السننية والأخلاقية والعدلية. قال تعالى (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلّا من ظُلِم)، لكنه يفصل في ذلك قوله (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به). ولذا يرى العارفون والعلماء بشكل عام أنّ الحق وردّ الحق اذا كان لله يؤخذ وفق شريعته وأحكامه لا غير، ولا يجوز التصرف فيها كونها ثابتة ومعروفة كما في الحدود والتعزيرات وغيرها. إما اذا كان الحق وردّه للنفس الانسانية فالانسان مخيّر فيه والأولى الصبر والمسامحة كما في قوله تعالى (وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ).

من جانبها ترى الرواقية أنّ الردّ إنما سببه الغضب وأن السيطرة على الغضب هو المفتاح لامتلاك الإرادة والوصول الى مكارم الأخلاق. وفي ذلك يقول الفيلسوف الروماني الرواقي المعروف سينيكا (أن الغضب ضرب من الجنون). وهو صاحب المقولة المشهورة)من الخطأ أن تغضب).

من أجل ذلك يذهب الفيلسوف الأميركي أوين فلانغن الى أن الغضب في جوهره سلوك عدائي يفترض وجود نوايا مضمرة تتسم بالعنف وتجنح إلى إلحاق الأذى أو الشرّ بالآخرين. فيما يرى بعض الفلاسفة الأخلاقيين أنّ مشاعرنا هي التي تجعلنا مدركين للاعتبارات الأخلاقية، أمثال إيرل أوف شافتسبري وفرانسيس هاتشسون وديفد هيوم وغيرهم. وعليه يدعو الرواقيون الى قوة العقل وثبات القلب؛ حيث انه في الفلسفة الرواقية يعدّ الهدوء حالة ذهنية مدروسة تساعد في التحكم بالمشاعر والذّات وبالتالي تسيطر على النزعات ومن ثم ردود الأفعال. ولذلك نرى سينيكا يقول (من لا يستطيع أن يتجاهل الإهانة فهو عبد لإهانات الآخرين). وعليه تعتبر ممارسة رياضة الهدوء والتنفس البطيء من أهمّ الرياضات الذهنية للسيطرة على نوازع الذات في الفكر الرواقي.

لقد كانت الرواقية في حقيقتها تقوم على مناقضة الفلسفة السقروافلاطونية؛ تلك الفلسفة التي تدعو الى التأمل والنظر والدراسة في الأفعال والأفكار وأخذ العبرة منها، إلّا ان الرواقية ترى أن البحث والنظر غير كافيين لتغيير الذات والسيطرة على نوازعها. ولذلك هي تدعو الى الفضيلة ومحاولة تجسيدها عمليا في الحياة.

غير ان بعضا من كبار الفلاسفة الرواقيين يرون أن النظر والبحث لا غنى عنهما في الوصول الى الفضيلة العملية الحقيقية؛ ومنهم زينو الذي ذهب الى ان المعرفة العلمية شرطٌ أساس للحياة الأخلاقية؛ فقسّم فلسفته الى ثلاثة أقسام على التوالي هي المنطق والطبيعة والأخلاق.

إنّ ما بين الأفعال والردود تكمن حقيقة النفس الإنسانية وقيمتها؛ فمن كانت نفسه أعلى من نوازعه أصبح مثالا للكمال الإنساني أو جزءا كبيرا منه. ومن كانت نوازعه أعلى من نفسه فذلك عبد لنوازعه ولا شك أنها ستورده ما لا يحب وسيلاقي ما يكره.

وخير ما نختم به موضوعنا المقولة الشهيرة (ان الله سبحانه خلق الملائكة عقولا بلا شهوات، وخلق الحيوانات ذوات شهوات بلا عقول، وخلق الانسان مركبا من عقل وشهوة؛ فمن غلب عقله شهوته كان خيرا من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله كان شرا من الحيوانات.).

Toperfect.com

مسرحية «ثورة» الجزائرية..
الإيقاع الطائش

مشهدان من ثورة

عبيدو باشا: بيروت

ثمة فرق بين الإيقاع والإيقاع الطائش . يهتف الأول برفق خفي، مخففاً من انزياح الهتاف الموسيقي. لا يسمح بالإنزياح، كما لو أنه فرقة مارينز. الكلام على الإيقاع يفسر منطقياً تعثر خدماته في مسرحية «ثورة» (لعبت في مهرجان المسرح العربي للهيئة العربية للمسرح في بغداد إلى عروضها الجزائرية والعالمية) ذلك أن مشاهد المسرحية كل مشهد كصفحة في كتاب صفحة وراء صفحة. إذاك لا شيء بديلاً من القراءة لكي يقف القارئ أمام مباهج النص في القراءة. أو يقف أمام وجوده كما تنوجد الأسماء في دليل الهاتف. كما تنوجد الأرقام في دليل الهاتف ، إلى جانب الأسماء .

شيء أكثر وحشية مما يظهر. الكلام على القراءة كلام على النص طالما أن «ثورة» تصعد أدراج نصوص أحد أبرز المؤلفين في الجزائر وفرنسا سواء بسواء. حكاية «الجثة المطوقة» و «الأجداد يزدادون شراسة»، نصان لأبرز المؤلفين الجزائريين في أوروبا ، فرنسا على وجه التحديد كاتب ياسين (كاتب رواية نجمة المترجمة إلى عشرات اللغات). استعان بهما فريق العمل الجزائري في مقدمه المخرج (عبد الإله مربوح). ذلك أنّ «ثورة» تقدم نفسها على أنها تتبع التفسيرات المنطقية للنصين المختارين من واحد من أبرز المشاكلين في الراوية والمسرح. روائي يجد في الرواية درج منزل. حين وجد في المسرح سطح المنزل . هكذا تقدم «ثورة» نفسها منذ اللحظات الأولى وهي تسائل نفسها سؤالاً لا يزال من الأسئلة المستعصية في المسرح في عواصم العرب وأريافهم. أن الآداء المسرحي فن مستقل عن الكتابة الدرامية حين يحدد في متونه عناصر تجعل الآداء عملاً مستقلاً ينافس رؤى النص وعلاقاته .أم أنه لا يمتلك شروط الإستقلال عنها.

لا تنعطف المسرحية عن السؤال هذا حين يتفرغ فريق عملها كله لكي يجسد النص وكأنهم أدوات في خدمته. لم نجد أثراً للأهداف الواضحة ، الحاكمة فريق العمل بمقولة الأهداف المشتركة ، بينه وبين كاتب ياسين. لأن الأخير قدم الملائم لأدائه ، لمّا بقي الفهم العميق لتجربة الفرقة (المسرح الجهوي/ سيدي بلعباس) بعيدة من طرح الخصوصيات المسرحية. ثم من تطورها من خلال الزمن من بداية الآداء وحتى نهايته . وهو أداء يتابع الأداء كما يتابع الأسلوب . لأن الإثنين واحد في واحد. لا حاجة إلى التوقع إذن مع تبريد حرارة النص نفسه. لأن الأخير لا يزدهر إلا بمحاكاة العناصر المسرحية الأخرى به. لا الإستسلام له. ذلك أن وجود العناصر هذه يؤدي دوره الحاسم ، في خدمة النص بقراءته لا بتصحيفه . تصحيف في «ثورة». لا قراءة . الكلام على القراءة المسرحية يفترض خروجها على المناورات الضيقة إلى مداها. وهو مدى يبتعد عن تمييز التقاليد المسرحية إلى إرشاد نفسه إلى تنظيم المكتسبات بالطريق إلى تفعيلها بعيداً من الفروض. حين أن التصحيف دليل المسرحي إلى تفسير النص وحده، لا الإختلاف في مساحة العرض ذي الأجزاء المناسبة . لا اصطفاق إذن . ثمة تدل. بحيث يردد النص نفسه كأفكار متجمعة.

لا ينقص عبد الإله مربوح فهم ملاحظة الأداءات الأولى في المسرح ، تأملها ، مقارنتها ثم الخروج عليها لكي لا تقع في التشابه. أمامه عرضان اختار واحداً منهما ، بلا أعذار . قصة تقدم نفسها بعيداً من الثقافة المسرحية المعاصرة . خيار قاد إلى بناء بطريقة هي طريقة المسرح نفسها في المفاهيم الشائعة . لا ارتباك. لا جهل ولكن الإختلاف لم يظهر في الحالات المزاجية لممارسة الإدراك في بعده الآخر. كأن الكلام على الأمر في ثورة، كلام على المستحيل، لأنه يؤدي إلى التوتر . وهو ما يقود إلى التواتر في طرق يحل بها المؤدون جميعهم مشاكلهم في المسرح، مشاكلهم مع المسرح ، في الإستفادة من المواد المتاحة. الأخيرة إما نظام مكرر أو تمرد على النظام. تعريف الأشياء يساعد على التخيل. الأخير من نواقص ثورة ، سوى من خلال الرجوع إلى الجوانب التشكيلية ما جعلت نفسها القيمة الرئيسية بالعرض .

جوانب القدرة على بناء ما هو ملائم للمهمات . مفهوم الإطار . ولأن الأمر على هذا النحو ، لن يتعرف المشاهدون على الآداء المسرحي، إلا من خلال النطق في نموذجه المعروف بعد تحديد المساحة في منهج قيام ثورة على عودة التاريخ برسم بوابته. ما يدفع البوابة إلى معناها الآخر ، بوصفها ثقباً أسود ابتلع الأشخاص ، القصة ، المناسبات المؤثرة الطالعة من القصة ، أو الحكاية نفسها . جوهر النص لا نوايا الإخراج في مصادره . وهي تسعى إلى التزود بالإجابات . ذلك أن النوايا تبقى نوايا ، أو إصداراً خاصاً بصاحبها ، ما دام لا يهمه القضاء على مفهوم الإنفصال بين النص المسرحي والآداء الدرامي. لا يهم أن يؤكد جيمس هاملتون الأمر ، ما دام مؤكداً من خلال الكلام على أساليب الآداء المسرحي وقيوده . الآداء كاملاً، من الجملة إلى جعل الجسد نموذجاً لا علاقة له بتفسير الحكاية ولا النص . تقوم العمليات بكاملها في العادة على المعتقدات من أدنى شروط العمل المسرحي الأساسي إلى أقصاه في صوغ المفاهيم بواسطة التسلسل الدلالي .

تعلق ثورة نفسها على قوة النص في حضوره الأولي. حضور يقوم على المقترح العرضي . مقترح لا يأبه للآنف. مقترح يشترط الرؤى المعيارية ، لا نماذج النطق. وهي نماذج لا يستفيد منها المؤدون غالباً. بطرح الأمر يقوم تمييز الإقتباس أو الإعداد . لا أثر لهما. لأن التأليف يقوم على النوع الأول من التأليف. التأليف لا ترديد أقوال النصوص الأخرى . جوهر الفهم في الكيفية ما يؤدي إلى فهم إدارة العلاقة بين الأدوات من خلال الآليات في نماذجها البارزة باستجابتها الواحدة إلى الأخرى. عودة إلى الكلام على الإيقاع ، وهو الملمح البارز في الأعمال المسرحية، بحيث تلاقي التفصيلات بعضها في الطريق إلى تلاقيها مع المتفرجين عند الملامح نفسها . أوصاف العرض المسرحي وخصائصه . سوف يُذَكِّر الكلام هذا بقوة النموذج الأدبي على الأعمال المسرحية حتى يتحول النص فيها إلى نصين. هذا ما حدث في ثورة حين انزلقت إلى نموذج النصين (النص والعرض ، بدون تطابق بنيوي) بحيث لم تنصهر المكونات في جسد واحد. الواقع أن ثورة تجسد ، بدون أن تحدد صورة لجسد، بروح ، يقوم على العلاقة بين المكونات .

يصعب تحديد الموقف من النص نفسه، حين يفقده العرض أجزاء من مغازيه . أولاً ، في وضعه في حقل عام . ثم في وضعه في التاريخ. كأن الكلام على الثورة كلام خاضع لرقابة الرقابة ، بحيث يخشى المبدع أن يحدد مسالك الإبداع إبداعه، إلا من خلال تواريه خلف التاريخ. كأنه يخشى القول ، لأنه يضع طرق التتابع في السياسة أمامه . مؤثر يؤثر وهو بعيد من نشره بملامحه الأساسية من خلال مفهوم السلطة الخاطئ. بالخوف من سلطتها ، بحيث يرى المسرحي نفسه عاجزاً عن الرد عليها حين يؤكد لنفسه، وللآخر ، أن ثمة نوعاً واحداً من العلاقة بالسلطة يقوم على القمع والمنع ، لا الأنواع . لا رؤية لحقيقة الأمر ، في نشدان إقرار الحقيقة. إغراء دائم بالخوف . هكذا ، ينعطف من يضلل نفسه في وقوفه أمام الواقعة الواحدة لعلاقته بالسلطة إلى التاريخ هو مصطلح شامل يتعلق بالذاكرة. ما حدث حدث إذن حدث. حدوثه مرة أخرى تكرار. كتكرار «ثورة» الكلام على استحالة الثورة سوى على سجادة قديمة ، بنقوشها وتطريزاتها القديمة ما حدث لا يعود أحمق لأن الماضي يقع دوماً على لسان الحكمة.الحكم لا تشع، إذ تقوم بتدوير الواقع بإعادة انتاج ايديولوجيا سائدة.سادت وتسود. لذا، لا تشع «ثورة» لأنها لا تملك أشياءها المدهشة ، حتى إذا وضعتها تحت جهاز مكبر ، يقفز بالصورة من حجم إلى حجم. وإذ تحرك الأحجام المتفاوتة المغازي والروابط ، يخلق الخيال .

لا خيال هنا . لأن اللغة محددة بالكامل بواسطة ما يعنيه المتكلم في تسلسل النطق . إذاك لا تتطور الأحداث. لأنها تراوح في مفهوم المراوحة حين تخرج على فلسفة الأدب المتحركة فلسفة المسرح المتحركة ، بحيث يمكن إن يظهر الحدث وهو يقع منذ أعوام أو بعد ساعتين أو يومين أو سنتين . هذه لحية عديد من المسرحيات العربية البيضاء. لحية بيضاء بدون المرور في تدرجات الألوان مع أن «ثورة» حافلة بالألوان (يوسف عابدي) والملابس والهوامش الخافية، الخفية، ما لم يقم الإخراج (عبد القادر غريو) بتحميله الفروق بين معنى العمل ومعنى النص المنطوق (هشام بو سهلة).

لا مبالاة عذبة بعالم اليوم . هذا هو التاريخ. ما حدث بالفعل بحيث لا يستطيع أحد بعد إزعاجه . حين أن من مهام المسرح الإزعاج وإشاعة الفوضى الجمالية . لأنها بوابة القضاء على العلامات السطحية ، العشوائية . وهي إذا زادت في كوم على المنصة ، تضحي كراسة لا يعدو كون ما فيها خدعة، لا تعبر عن وجهة نظر .

سوف يستعان بالتاريخ في «ثورة» بدون تحديد. تاريخ فقط .بلا جمع وتنظيم وعرض. لا جمع ولا تنظيم بالطريق إلى الكشف والإكتشاف . التاريخ هو الغذاء الوحيد هنا. تاريخ يشكك بنفسه لأنه لا يُخَاطب. لأنه يتجاهل التخاطب. يتجاهل الحوار. لأنّ التعميم لا يحيي التاريخ فعلاً إنه يجرده. يوقعه بالتحريد . التجريد أن ينتزع الإنسان من نفسه شخصاً يخاطبه . ثم ، إن التجريد عزل الصفات. إحداث نوع من العزل الذهني خروج على الواقع بطرق لاتنتبه إلى الإختلاف بين الواقع والواقعية . قصر الإعتبار على الإستقرار، حين أن التاريخ متحرك حتى في سكونه. لا يحتاج الأمر آلى فراسة دماغ . هذا ما يؤكده غريو في «ثورة»، بدون رؤية التاريخ سوى كجمجمة بلا نتواءات . رأس بلا دماغ . ما يدفع إلى نوع من القص المحير . لا القص شديد الغرابة اللاخضر خائناً. لا تلهف المسرحية إلى تأكيد الأمر بالوقائع بعد حولت التاريخ إلى فم أبكم. بعد أن حولت الأحداث إلى شظايا. لا تلهف المسرحية إلى تفكيك الأمر وهي تقود نفسها بالسرعة القصوى إلى ختامها ، بعيداً من تقديم المؤثرات والإضطلاع في بناء القص.

لكل شيء قرينه في التاريخ . تتخلى «ثورة» عن القرائن . لا شيء سوى أن يقوم كل بدوره .أن يقوم التاريخ بدوره . أن يقوم الفريق بدوره . أدوار مرشحة لكي تتحول إلى أروقة . ولكنها لا تفعل من تذكر ضرورة القيام بالدور . مؤدّى الأمر ميكانيكية لا توضع في راحة يد المؤدي ، اللاعب مخلوق مسرحي لا إنسان . الأحداث شعثاء لا تحدث للتو ، حتى وهي تحدث على خشبة المسرح . حدثت وانتهى الأمر حين حدوث الحدث إنها مباركة إذن من الله، من القوى العليا،من المؤرخين من الجمهور . لأنها مدركة لا تعرض أحداً للخطر .

إبقاء الحوار لمدة أطول، في منولوغات ، هذا مس من مسوس المسرحية. ولو أن الصمت يحضر كابتسامات عابرة ، في إطار ما توحي به اللحظة من خطابة أوغناء. ذلك أن اللغة العربية تدفع إلى حذو حذوها البراني بالغناء . إنها تدير إدارات يقوى عليها، فقط من يريد وضعها في ضياء الصيف. أوبهاء الربيع ، أو مباشرة الشتاء. أو استرخاء الخريف. التاريخ شاعر مشهور. الغنائية مؤدية مشهورة. بواقف العرض على الأمرين. إنهما فزاعتا العروض، وهذه قصة جيدة بدورها إذا ما وعى المسرحيون أنها من قصص المسرح المرة .

العرض عرض بالغ الصلابة على ما يظهر. ولكنه هش في الوقت ذاته. لا أزال اعتقد أن لا صواب في ايداع مسرحيات كاتب ياسين في "ثورة". ذلك أن الأخيرة كأنها تبالغ حين تشير إلى الأمر أو تؤكده . لأن مادتها تقف هادئة في ركنها ، لا تتعالق ومسرحيات كاتب ياسين إلا لماماً.أو أنها انعكست عليها بشيء سيء . من عدم الإنصاف الكلام على سوء في هذا الجانب . حيث لا نرى سوى الإنحناء أمام ياسين ، ما يقود لا إلى تقريع «ثورة» بل إلى تبرئتها من الأفعال نفسها في المسرحيات المنتخبة. إنها مسرحية أخلاقية من هذه الزاوية باحترامها كاتب ياسين، قوته، صيته، منهجه الدقيق غير المضلل . ولكنها تمضي بعيداً عنه . لا ملازمة . هذا شيء طيب لو أن الإفتراق قصدي . غير أن مادة «ثورة» تبقى مادة استسلام صامت لياسين . تقوم العلاقة بالنصوص الياسينية على الخصلة لا الخصال . ذلك أن نص ثورة لا يتطابق مع ما أراده ياسين ولا أعماله . نص يعتقد أن الصواب بما فعله من دون تراجع عن الأمر. ولكنه يبقى نصاً لا يعنيه سوى شعوره لا حقيقته . حيث أنه نص عادي . نص يذهب إلى حفلة بدون هدية . نص يلازم غرفه لا غرف الآخر، إلا إذا اقتصرت العلاقة على نجمة . واحدة من شخصيات المسرحية ، هي نجمة . نجمة كاتب ياسين . لا من تذكر طفولتها من دفاعها عن ما دافعت عنه نجمة ياسين . وحيدة ، تبقى وحيدة ، بين مجموعة من من اشتهوها ورغبوها أو من الكلام على القبلة بين اللخضر وماريان حين يقول لها بأن لسانها غنيمة حرب . كما قال ياسين أن اللغة الفرنسية غنيمة حرب.

لا حاجة للمسرحية إلى مسرحيات أخرى لكي تقف على نصوصها. ثم ، أن بناءها الأولي لا يقوم على الإحتجاج على ما تواصل في حياة المسرحي من مسرح لم يعد يساور المسرحيين في معظمهم من استهلاكه . مسرح يرغب في كل نحو على الإرتقاء إلى مستوى آخر . بيد أنه لا يفعل . مسرح لا مبالي بالقفز عن الجاهز.

هكذا، يتوالى دخول المؤدين وخروجهم دخولهم وخروجهم مرة أخرى دون كبير جهد بالقفز من التموضع إلى الخلاف معه في رسم المشاهد بالعلاقة بين المؤدين والعناصر الأخرى بحيث لا يعود المسرح يُرى قبل أن يُرَى . ثم ، كأن المشاعر مشاعر شخوص آخرين لا شخوص المسرحية وهم لا يولون لمشاعرهم ما يقود المسرح إلى هدايتهم. باب لا يدهش في الأسلوب الدرامي لأنه يأكل العمق البؤري للصالة باب يسطح المساحة ويطفو برجالها ونسائها كما يطفوا رواد الفضاء خارج غلاف الأرض. نص يتأدب . أي يأخذ دور الأدب في المسرح لا دور المسرح في الأدب . ما قاد المؤدين إلى التأدب الأدائي. لا قلعة تضيء . لا قلعة تبهر . أداء واقعي ينزلق إلى نوع من الغنائية غير المرتبطة بالعربية الأم. لم تعد دار المسرح داراً رحبة مع فقدان العمق البؤري . دار ضيقة يضطر المؤدي إلى الدخول من ضلعيها. ضلع اليمين وضلع اليسار . نص يتأدب وهو يخلط أفكار التزاوج. ثمة روح شكسبيرية في مواقع . روح طقسية في مواقع. مواقع الموسيقى والغناء . لا علاقة لآرتو بالأم . لأن موسيقى المغرب العربي طقسية ملحمية. ثمة رواح ومجيء للجناس والطباق. ثمة غدو في تغذية النص بالقوافي، حتى ولو زحط الكلام إلى خطو أعرج .(انتن حيات / انتن على الموت مقبلات / هاكن بندقيات).ذلك أن جمع بندقية بنادق لا بندقيات. ثمة تغريب. لأن التاريخ يغرب .تقوم الموسقة على التقفية لا الإيقاع. ثمة فوضى بعيدة من تدريب المؤدي ، بعيداً من تقاليد أوروبا الطويلة وتقاليد من تمردوا على التقاليد . لا تدريب منهجي لا رسم منهجي للعلاقة بين النص والإخراج. لا تناص. ذلك أن لعبة شد الحبال بين الإخراج والنص تتضح كلما مضى زمن . لن يغير النص من أعمال الإخراج . لن يغير الإخراج من أعمال النص. لأن من كتب النص كتبه وفي اعتباره أنه نص هندلي (هاندل) . نص على عهده الموسيقي، على عهود الإختلاط بين مايراه نجاحاً لفرضية كتابة نص يبتعد من مفهوم محددات العمل.

يظهر أن ثمة تدفق في النص . ولكن الأمر غير ذلك . لأنه لا يقدم الحقائق الإجتماعية المتغيرة. حقائق واجهها المجتمع الجزائري في خروجه على ظواهر الغرب العامة . أسرت الفكرة كل شيء . الثورة تأكل أولادها . كليشيه. كالكليشيهات العديدة في ثورة. التاريخ يكتبه الرابح. الثورة أنثى . التاريخ يذكر الأفعال. الأسماء تنسى . السلاح ذكر. احتياجات تهيمن على تطلبات الكتابة والإخراج . ثمة رمزية في مواضع ، روح تعبيرية في مواضع ، فانتازيا في مواضع (الملابس على غير قدر متساو مع الأدوات والتفاصيل الأخرى). إنها طبيعة الأفراد من يظنون أنهم يواجهون سلطة سياسية سلطة السلطة وسلطتهم على أنفسهم ، بحيث يبقون يراوحون فوق السطح لا تحت القشرة. ثمة تصوير، نحت ، شعر ، موسيقى لم تلقى دعمها في نظرة ثقافية أوسع. تطوير بؤرة التركيز الجديدة بقي بعيداً عن صيغة بناء العرض المسرحي المختلف. ■

هولوكوست يخصنا وقد وجدناه

محمد علي فرحات

تمعن إسرائيل في حربها على غزة، لم يكفها الحصار.

مثل حروب أخرى، تدمير البيوت على سكانها، وحضور الضحايا، دائما، في شكل ايقونات. كأن هالة تحيط بوجه الميت، تجعله فجأة منتميا الى عالم لا نعرفه، الى سر يكشفه العابرون الى عالم الموتى.

هناك رجل بعيد (امرأة بعيدة) على مقعد وثير في غرفة دافئة، ينظر الى الضحايا في التلفزيون، وقد يكون قرب الرجل، قرب المرأة، كلب او قطة، ومن النافذة منظر الثلج هابطا مثل ورق أبيض ممزق.

نحن اهل المجرمين والضحايا، وهذي بلادنا منذ آلاف السنين، ترابها تدوسه نعال الجنود، لكنه يحضن الذين فقدوا أرواحهم، لينبت في مكانهم شجر يسكن في ظله قدماء وعابرون.

ونحن، أهل هذه البلاد، لم تهبط علينا نعمة التنوع. نحن أهل الرأي الواحد، والعصب الواحد، فإذا افتقدنا جيوشا تغزونا نحارب بعضنا بعضا.

هذي بلاد الباحثين عن النقاء، الرافضين الاختلاف، وإن أدت الحروب الى بقاء رجل واحد وفكرته الوحيدة تحت شمس شاهدة.

حرب إسرائيل على غزة.

«حماس» تحارب لا تناقش، فاذا أبديت رأيا مختلفا فأنت شريك في الجريمة، يغلبك دائما مشهد الدمار والشهداء.

نبحث عن هولوكوست يخصنا وقد وجدناه. يقف الإسرائيلي في مكان النازي ونقف في مكان اليهودي، ونصرخ في العالم مثلما صرخوا ليكون لنا مثلما كان لهم.

ولكن، هل تتكرر الوقائع ومعها ردود الفعل؟

هي لن تتكرر، وسيكون التكرار مرآة لمآسينا لا أفقا: من يبحث عن طريقة غير الموت ليصنع الحياة؟ تعالوا نبحث معا عن هذه الطريقة.

ولكنها الحرب، وهي الصورة الأولى لوعيد الشرق: الحكومة التي أعلنت إسرائيل «دولة يهودية" تحارب الحكومة التي استولت على غزة وطردت المعارضة وتعتقد بفكرة "دولة إسلامية».

خلعت إسرائيل ثوب الديمقراطية والعلمنة ولم تعد تشبه أوروبا والولايات المتحدة كما يروج ساستها ومديرو مكاتبها السياحية.

حرب دينية؟

نعم. راجع ما سبق في تاريخ العالم. تسقط أخوة البشر لمصلحة انقسامهم «الروحي» بين رحماني وشيطاني. تصبح الجريمة جهادا والتضحية بالنفس شهادة.

يا اهل العالم، تعالوا اشهدوا ما يشبه الأجزاء الأكثر دموية في تاريخكم.

في غزة استعادة لحرب المئة سنة الأوروبية ولحروب أنبياء بني إسرائيل ولفتوحات بعض الخلفاء الامويين ولاستعمار أميركا والشرق الأقصى، استعادة تطلبها حكومتا إسرائيل و «حماس» لتؤسسا نمط حروب الشرق الأوسط المقبلة.

هدية السنة لفتاة في غزة؟ حزمة خبز لأخواتها ولها.

إنه الحصار، يفرضه الخارج ليمنع تنفسنا ويقنن غذاءنا ودواءنا ويحجب السلاح. ويطلبه الداخل لتبقى السيادة له وحده، لأفكاره فلا نحتك عمليا بالآخر وأفكاره نعارضها أو نقبل بها أو نخضعها للنقد. الحصار لنكون مع الـ «النعم» الكاملة والـ «لا» المطلقة، فلا نعرف النسبية وننتهي منتصرين أو ضحايا، وفي الحالتين لا نعيش مثلما يعيش أهل بلاد بعيدة يزوروننا في التلفزيون ويستغربون أحوالنا الخالدة.

هدية السنة

رأس غزة

أهلها المرفوعو الرأس،

أهلها الفلسطينيون.

رأس غزة عند البحر الأبيض المتوسط وخلفها سيناء وصحراء إسرائيل.

والبحر انفتاح يبقى ما بقي الموج على الشاطئ، والصحراء انتماء ساخن ومدى تأمل.

رأس غزة يوازن بين بحر ورمل، فإذا فقد التوازن يعجز عن رؤية الحاضر والمستقبل.

ولكنها الحرب، الاهتزاز، اللاتوازن.

أفضل المحاربين لا تأخذه الحرب الى حريق الأفكار. في منتهى القسوة يحتفظ باللين، وفي حميات المعارك يبقى عقله باردا قادرا على تقدير الاحجام والإمكانات.

وعود السنة.

فلتحفظ غزة رأسها.

تأخذنا في الحرب صور البشر الضحايا، أشلاء من يحلمون، يغضبون ويرضون ثم يحلمون.

تأخذنا صور البشر وننسى الكائنات الأخرى: الشجر الذي يكلف أعمارا لتعلو أغصانه في الفضاء، والحيوانات الأليفة علامة إقامة الانسان وشريكته في بيته الزراعي الأول.

ولكن، عدد الكلاب والقطط عندنا قليل، فلا صيد ولا رعاة ولا حدائق للبيوت، وليس من يساكن كلبا أو قطة فالمساكن ضيقة والبشر كثيرون.

بلاد بلا كلاب يفاجئها الزلزال، ربما لذلك يقتل الجيش الإسرائيلي الكلاب ويحرق الشجر قبل البشر. هذا الجيش عدو البيئة قبل أن يكون عدو اعدائه. هل البيئة من اعدائه؟ انظروا قنابله العنقودية في جنوب لبنان.

نحن جنود الجفاف، نؤمر فنطيع، نتحرك لنموت، ولا نتسلى ابدا. مثل آلات عاجزة عن رؤية محركيها.

ومن غرف بعيدة، قد تكون مظلمة أو مضاءة بعناية، يصدر قرار الحرب أو قرار السلام.

لا أحد يستشيرنا، والمطلوب الموافقة أو العار.

إنها البدائية بوسائل عصرية. ■

الإعلامية رؤى حمدان لـ«الحصاد»:

نحن في حرب طاقة عالمية لا قيود لها أو حدود

رنا خير الدين: الرياض

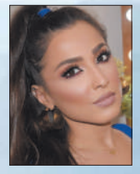

رؤى حمدان إعلامية ومحاورة سياسية اختصرت مراحل تجربتها بعدما عبرت دروب المهنة بكل احترافية ومهنية، تخرّجت من كلية الآداب قسم اللغة العربية وأكملت دراسة دبلوم دراسات عليا، ودرست في كلية الإعلام جامعة دمشق.

الصحافة حلم طفولتها، كانت تكتب بطريقة إنشائية ممتازة في المراحل العمرية الصغيرة وتحصل على إشادات من معلماتها، الأمر الذي عزز ثقتها بنفسها وبقلمها. بعد التخرّج بدأت بالعمل الجاد في مجال الصحافة المكتوبة، بداية عملها التلفزيونيّ كانت من خلال تقديم البرامج في القناة الرسمية السورية. ثم عملت ضمن إذاعة نينار المحليّة في سورية في إعداد وتقديم برامج في مجالات مختلفة (خدمي، صباحي منوّع، فني، رياضي) وإعداد وتقديم نشرات ومواجيز أخبار سياسيّة، بعدها انتقلت إلى العراق للعمل في قناة آي نيوز الفضائية العراقية في بغداد.

● «الحصاد»: مسيرتك بالإعلام حافلة بالتجارب. أخبرينا عن البدايات.

○ رؤى حمدان: البدايات امتزجت بعدة مشاعر، لبداية السير في طريق حلم الطفولة والحزن عند الاصطدام بالواقع الذي يبدو للوهلة الأولى بعيداً عمّا رسمناه في مخيّلتنا، الابتسامات والدموع، الرضا وجلد الذات، كلّها ساهمت في بناء بداية متينة لعملي الذي بدأته بالصحافة المكتوبة في عدة مواقع إلكترونية متنقلة بين الأخبار والمقالات والتدوين والكتابة الأدبية التي تميّزت بها منذ الطفولة، ثم الانتقال للعمل التلفزيوني وكان ظهوري الأول كمقدمة برامج منوّعة اجتماعية عبر شاشة التلفزيون الرسمي)الفضائية السورية) ثم العمل في إحدى الإذاعات المحلية الخاصة لما يقارب الخمس سنوات. البداية كانت في التدقيق اللغوي والتحرير في بعض الأحيان، ثم الإعداد والتقديم للبرامج الإذاعية وإعداد وتقديم المواجيز والأخبار السياسية. بعدها عملت في إعداد وتقديم البرامج في إحدى الفضائيات الإقليميّة والآن مذيعة أخبار ومقدمة برامج سياسية في قناة آي نيوز الفضائية العراقية في بغداد.

● «الحصاد»: كيف ترك اختصاصك باللغة العربية أثراً على مهنتك الإعلامية؟

○ رؤى حمدان: ترك تأثيراً إيجابياً بارزاً من ناحية الأداء وفرص العمل، حيث لا يُخفى على أحد أهمية اللغة العربية في الإعلام نحواً وصرفاً خاصةً من يعمل في المجال السياسي الذي لا يحتمل الخطأ. فصاحة اللسان ومخارج الحروف ساعدتني في تطوير الصوت أيضاً بالإضافة لناحية أهم وأبرز وهي حاجة مقدم البرامج الحوارية لمخزون لغويّ يُسعفه في التعبير عن أفكاره أثناء حواره، فاللغة العربية بحر مليء بالمصطلحات لكن الفكرة ليست فقط في الدراسة الجامعية لتخصص اللغة العربية إنما بالقراءة والاطلاع على مختلف صنوف الكتب بين الأدب والرواية والمؤلفات السياسية والتاريخية التي تحتاج لفهم عميق للغة والمعنى والأمر ذاته في عملي الإعلامي حيث لا يحتاج الأمر لوقت طويل لفهم الفكرة عند قراءة ومطالعة الأخبار في وكالات الأنباء العالمية غير الناطقة بالعربية، فالترجمة الحرفية قد لا توصل المعنى بشكل جيد.

رؤى حمدان.. ما زالت تسعى وراء الكلمة الصادقة

● «الحصاد»: وهل برأيك يتطلّب نجاح الإعلامي أن يحمل إجازة بالإعلام؟

○ رؤى حمدان: أنا دائماً أفضل التخصّص بكل شيء في الحياة، لكن عن تجربتي الشخصية بدأت بالعمل الصحافي والإعلامي بعد تخرّجي من كلية الآداب قسم اللغة العربية ودبلوم الدراسات العليا، قبل أن أعود لدراسة فرع جامعي جديد في كلية الإعلام جامعة دمشق. لا غنى عن دراسة الإعلام أكاديمياً لكن هذا وحده لا يكفي، إنما العمل يحتاج لموهبة وهي البذرة الأساس ثم الاجتهاد والسعي لتطوير أدوات العمل من لغة وصوت وأداء وحضور قبل كل شيء الإرادة القويّة للاستمرار في طريق ليس سهلاً مع التطوّر التكنولوجيّ ووسائل التواصل الاجتماعي التي أصبحت منبراً للجميع من يستحق ومن لا يستحق، ويعد الشهرة هدفه الأساس متناسياً الرسالة الإعلامية الأسمى في عملنا. وهنا يأتي دور الدراسة الأكاديمية في تقويم العمل وتقييمه.

● «الحصاد»: عملت في قطاعات الإعلام المكتوبة، المرئية والمسموعة. أيها الأقرب لك ولماذا؟

○ رؤى حمدان: كل مجال كان له قيمة مضافة في عملي وعزّز خبرتي. فالكلمة المكتوبة هي أساس العمل، مجال الصوت وتأثيره في المتلقي ليس سهلاً، والوقوف أمام الكاميرا والتفكير أنك كمذيعة تلفزيون تدخلين عبر الشاشة لمئات البيوت بمختلف ثقافاتها وانتماءاتها، هذا عندما نتحدّث بالعقل. أما العاطفة فهي للإذاعة والوسائل المسموعة.

● «الحصاد»: قبل الشروع بإعداد أيّ حلقة. ماذا تضعين في حسبانك؟

○ رؤى حمدان: أفكر بالمواضيع الأكثر أهميّة وغالباً أبحث عن مواضيع لم يتمّ تسليط الضوء عليها كثيراً في وسائل الإعلام، اضافة لأهمية الموضوع في الوقت الحالي ورواجه (أقصد هنا بالرواج القضايا التي تحتاج إلى نقاش وحلول بعيداً عن مصطلح ترند) وأعمد لتقديمه بطريقة تناسب الجمهور المتلقي وثقافته وتوجهاته.

● «الحصاد»: كيف ترين الإنتاج الإعلامي العربي في تعاطيه مع قضايا الساعة وأحداثها؟

○ رؤى حمدان: قضايا الساعة مصطلح حمّال أوجه في الوقت الحالي للأسف، الكثير من الوسائل الإعلامية تبحث عن الأكثر رواجاً (Trend) وتحقيق المشاهدات في التواصل الاجتماعي واستخدام العناوين الصفراء الفارغة من الحقائق أو تسليط الضوء على القضايا ومحاولة تقديم طرق التفكير في الحل، لأن مهمة الإعلام ليست إيجاد الحلول إنما تسليط الضوء على أفكار تساعد الجمهور في التفكير خارج الصندوق، وهذا الأمر يحدث بشكل خاص في القضايا الاجتماعية والأخبار الفنية وقد يكون أصعب في عملنا في المجال السياسيّ، لأن الجمهور هنا يتابع الأخبار وفق توجّهاته ورؤاه وتحزّباته. وهنا يكمن دور الذكاء في الحوار مع عدم الابتعاد عن المهنية والمصداقية.

● «الحصاد»: ما هي قراءتك للأحداث الراهنة؟

○ رؤى حمدان: قراءة الوضع الراهن وفهمه بذكاء يعتمدان على قراءة التاريخ ومتابعة الأحداث تاريخياً حتى نصل للواقع الحالي. فالأحداث السياسية والميدانية والاقتصادية تسير على خط واحد منذ آلاف السنين مع مراعاة تغيّر الفكر والمصالح والتحالفات عبر الزمن. نعيش في عالم يحكمه رأس المال العالمي يتحكّم في اختيار القادة وافتعال الحروب والمشاركة فيها ودعم أطراف مسيطر عليها لإضعاف أطراف أخرى تمتلك مواقع استراتيجية على خطوط التجارة العالمية أو ثروات باطنية. ويظهر هذا الأمر جلياً في العامين الفائتين حتى الآن منذ بدء الحرب الروسية الأوكرانية وقطع إمدادات الغاز عن أوروبا وصعوبة استبدال الوقود بالطاقة النظيفة بسرعة وإيجاد حلول إسعافية بالتوازي مع اكتشاف مصادر للطاقة والثروات في أفريقيا واتجاه أنظار القوى العالميّة نحو تلك المناطق وزرع قواعد عسكرية فيها بحجة ضبط الأمن. باختصار نحن في حرب طاقة عالمية.

● «الحصاد»: كيف غيّرت الحرب على غزة مجريات المنطقة وتوزيع الأوراق؟

○ رؤى حمدان: علّمونا في المدارس منذ الطفولة أن فلسطين موقعها موقع القلب بالنسبة للوطن العربي، بالنسبة لي أرفض القول إن الحرب فقط على قطاع غزة بل هذا استمرار لجرائم الاحتلال بحق الشعب الفلسطيني منذ الأزل، استمرار لجرائم التطهير العرقي بحجة ما يسمّونه (أرض الميعاد). أذكر هذه العبارات عطفاً على ما قلته في سؤالك السابق لي وإيجابتي أننا أمام حرب طاقة واقتصاد عالميّ.

اختلف المفسّرون على مصطلح أرض الميعاد فقالوا إنها من الفرات إلى العريش ثم فسّروه على أنّها بيت المقدس بدأوا بحجج دينيّة لتحقيق أهداف صهيونية. الهدف ليس فلسطين وحدها إنما أرض الشام والعراق ومصر..

البداية من فلسطين والقضية لم تمُت إنما تصاعدت الأحداث في الحرب على غزة بشكل أكبر عالمياً بالتوازي مع الأزمات الاقتصادية التي يعاني منها العالم ككل. أخصّ بالذكر دول أوروبا وأميركا المتأثر الأول بعد الحرب الروسية الأوكرانيّة وما تقدّمه هذه الدول من دعم للكيان المحتل بالسلاح والمال والسياسة. الشعوب الغربيّة تفكر في قوت يومها والضرائب والاستقرار المعيشي. وعندما بدأ هذا الدعم يؤثر على احتياجات الشعوب الغربية بشكل مباشر انتفضت بوجه قادتها. لا ننسى عدد العرب المقيمين والمهاجرين واللاجئين في تلك الدول ونقل ثقافات الشعب العربي لتلك الدول وتغيير الصورة النمطيّة عن العرب. عندما افتعلت القوى الغربية الحروب في منطقتنا العربية وفتحت باب اللجوء لجذب العمالة العربية الشابة لتسيير اقتصاداتها لكون الشعب الغربي كهل. لكن انقلب السحر على الساحر فالكثير من اللاجئين يعتمدون على المساعدات من المنظمات الدولية.

وكما ذكرت نقل الثقافات والاندماج مع الغرب. وهنا بدأ إيضاح الحقائق حول جرائم الاحتلال بحق الشعب الفلسطيني وأصبحت قضية رأي عام دوليّة،

● «الحصاد»: ماذا تقولين لأهالي غزة؟

○ رؤى حمدان: أصحاب الأرض هم أصحاب الحق. نخطئ (مجبرين) عند استخدام مصطلح الحرب. فالحرب بين دولتين أو صراع على حق تحت القانون الدولي الإنساني. أما الكيان المحتلّ فهو مغتصب لأرض ليس له فيها أدنى حق أوَ ذرة تراب مجرّدين من كل إنسانية غير ملتزمين بأي قانون. الأرض أرضكم أنتم أصحاب الحق والوجود. كل نداءاتنا الإنسانية وكل نشرات الأخبار لا تشكّل واحداً بالمئة مما قدّمتموه من دماء وأرواح ومعاناة.

● «الحصاد»: ما هي برأيك السياسات الدفاعية التي بمقدور الإعلامي مواجهة العدو الإسرائيلي بها؟

○ رؤى حمدان: الحقيقة واضحة جليّة بعيداً عن عروبتنا وتوجهاتنا الإنسانية وحدها كفيلة بإظهار الواقع كما هو عليه. اليوم نحن في حرب إعلامية دفاعية مع إعلام العدو الذي يشوّه الحقائق لاستمالة الرأي العام وتشويه صورة الدفاع عن الحق وتحويرها إلى صورة الإرهاب المقيتة. لذا علينا تعميق قراءتنا لتقديم تحليل منطقيّ موضوعيّ عبر شاشاتنا ووسائل الإعلام بشكل عام، واستخدام وسائل التواصل الاجتماعيّ عبر حساباتنا الشخصية وإيصال الصورة للجمهور العالمي وليس العربي فقط.

● «الحصاد»: أخيراً، ما هي النصيحة التي تقدمينها للجيل الجديد من الإعلاميين؟

○ رؤى حمدان: الإعلام رسالة. القتل بالسلاح موت سريع أما الكلمة فيمكن أن تقتل جيلاً كاملاً عبر تقديم الخطأ على الصحّ أو تحييه من خلال تقديم الحقيقة والوقائع. الجمهور أمانة في أعناقنا. ابحثوا عن الحقائق وتأكدوا من المعلومة قبل تحويلها إلى خبر. اقرؤوا كثيراً في المجالات كافة وليس في تخصص واحد تحبّونه. ■

الإعلامية والمحاورة السياسية رؤى حمدان

رغم ما أحاطها من ألغاز وما طاردها من شائعات

أسمهان مطربة انتشت لها الآذان

كاميليا ابنة اسمهان مع خالها فريد الأطرش

اسمهان وزوجها الاول الامير حسن الاطرش

لندن: أمين الغفاري

هي مطربه كبيره ولها اسم رنان، وصاحبة مكانة رفيعه في تاريخ الطرب العربي على امتداده. صوتها يحمل الكثير من الوان الشجن، والجمال، وكثيرا ماتخللته تلك المسحة من الحزن التي ربما تعكس في نبراته ما صادفته في حياتها القصيرة من محن وآلام، وهي رغم رصيد فنها الضئيل في المؤسسات الاذاعيه والفنيه والسينمائيه، وكل مايقترب من فن الغناء بشكل عام، الا ان قيمتها لم تزل طاغيه كصوت مؤثر له رصيد، لم تتصرف عنه الآذان، ولم يتآكل عبر الزمن،ولم تطوه صفحة الأيام. مازال الصوت له سحره وله وهجه كما له بريقه الذي يستدعي الوانا من الطرب ،والكثير من تداعيات الحنين. هي من اسره كبيره وعريقه لها في ميدان الحكم والتاريخ ومقاومة الأستعمار الفرنسي، مكانة ومكان. يكفي ان نذكر انه حين جاءت مع اسرتها المكونه من (الأم عليا المنذر، والأبناء فؤاد وفريد وأمال الأطرش). وبوصول العائلة الى محطة القطار في مدينة (القنطرة) التابعه لمحافظة الأسماعيلية في مصر 1923 أن صادفتهم مشكلة في الدخول، الى الأراضى المصرية، لأنه لم تكن لديهم جوازات سفرإلا أن الأم (عليا المنذر) استطاعت الوصول إلى (الزعيم سعد زغلول) تليفونياً،حيث كان على علاقة طيبة بعائلة الأطرش، فتوسط لهم وسمح لهم بدخول القاهرة، واستقروا فيها بمنطقة الفجالة في القاهره. واجهت العائله بعد استقرارها في مصر عقبات أخرى عديده، كان اولها تغيير لقب الأبناء، فعائلة (الأطرش) مطارده من القوى الأستعماريه بحكم موقفها في المقاومه ضد قوات الاحتلال الفرنسي والبريطاني ، ولذلك اطلقت على اولادها اسم (آل كوسه)، بديلا عن الأطرش ،وكان الاسم الجديد يلاقي بعض التندر في مصر، فكانوا يسألونهم هل انتم اقارب (الباذنجان) ؟

اسمهان.. الميلاد والنشأه

ارتبط ميلادها برحلة سفر قامت بها العائله من استانبول الى بيروت ،وصادفت ألأم الآم الوضع ،وكان ان تمت الولادة على ظهر السفينه التي تقلهم وكانت المولوده هي (امال الأطرش) 1912 وكانت ليلة عاصفة علت فيها الامواج ،مع هبات الريح العاتيه، ثم ما لبثت ان سكنت الأمواج وهدأت الرياح، واراد الاب ان يسميها (بحريه) لأنها ولدت في البحر، وعاصرت تلك التجربه ،من ثورات الطبيعه، الا ان الأم وهي من اصل لبناني من حصبيا في لبنان اعترضت على الأسم وأصرت على تسميتها (أمال) فقد كان ميلادها يحمل معاني الأمل في سكون العواصف وتراجع الأمواج، مما انقذ الباخره،ومن عليها. لكن حين التحقت بالمدرسة في القاهره أطلق عليها مدرسوها وهم فرنسيون اسم (اميلي)، ثم جاء الأسم الثالث الأكثر شهره (اسمهان) وقد اطلقه عليها الملحن (داود حسني) ،وذلك نظرا لانها من عائله محافظه وشهيره وهي عائلة (ألأطرش) وقد لا ترضى ان تكون احدى فتياتها (فنانه). ثانيا ان اسم (اسمهان) كان لمطربه عجمية في قرن مضى من الزمان، وكانت ذات صوت ينشر البهجة ويأسر القلوب، وسوف تكون اسمهان الاطرش اكثر خلودا من تلك العجميه. هكذا تنبأ دواود حسني .

اسمهان .. الفنانه

كانت والدتها (علياء المنذر) تهوي الغناء والعزف على العود،وتتمتع بصوت غنائي له سحره ووقعه في الآذان، وكانت تقيم كل خميس سهره فنية في منزلها تدعو لها الأصدقاء كما انها كانت تحت ضغط ظروف الأسرة المعيشيه تغنى في بيوت بعض الأسر في المناسبات السعيده مقابل اجر ،وكانت ابنتها (أمال) تصحبها في تلك السهرات وتدندن بصوتها بعض المقاطع التي تحفظها وذات يوم كان في منزلهم المطرب محمود صبح وكان يغنى الموشحات والادوار ،وسمع صوت من بعيد يتغنى اغنية لام كلثوم وهي (سكت والدمع اتكلم على هواه والقلب يا ما بيتألم من قولتي آه (وحين عرف انها (أمال) قال لشقيقها فريد (يا وعدي ماهذا الكنز المخبوء في داركم ياولدي). ثم قام بعد ذلك بتعريفهم بالملحن (داود حسني) الذي قام باختيار اسمها الجديد وقام بتدريبها على اداء بعض الالحان. كان شقيقها فريد الأطرش قد حصل على فرصة الغناء في صالة (ماري منصور) وترك الوظائف التي التحق بها، وتفرغ للحياة الفنية،وعمل على ان تلتحق معه شقيقته (اسمهان) بالغناء في نفس الكازينو او (الصاله) وهي قادرة على ترديد الألحان. تولى بعد ذلك كل من داود حسني وزكريا احمد والشيخ محمود صبح ومحمد القصبجي وفريد غصن اعداد خطه لتعليمها اصول الغناء والموسيقى والعزف ،فتولى الشيخ زكريا تلقينها اصول الالقاء الغنائي ومهمة القصبجي تعريفها بالمقامات وطريقة الانتقال بينها اما فريد غصن فكان عليه تحفيظها التراث التقليدي ومن بينها بعض الموشحات المدونه في كتاب (سفينة شهاب) المستخدم فيها مقامات متنوعه واوزان واساليب مختلفة ، ومع نجاحها تقدم للتعاقد معها مدير شركة كولومبيا وكان الرجل (روميا) وتعاقد على خمسة عشر اسطوانه مقابل عشرين جنيها للأسطوانه الواحده من بينها خمسة الحان لداود حسني والقصبجي وزكريا احمد وانتشت اسمهان من الفرحه واخذت تغني لحنا لفريد غصن وكلمات يوسف بدروس مطلعه (يا اسمهان ..صوتك كله حنان).

اسمهان .. الزوجه

حين ذاع اسمها انتشرت ايضا صورها، ووصل الأمر الى العائله في السويداء في سوريا،فحضر الى القاهره ابن عمها الأمير (حسن الأطرش) وكان محافظا للسويداء،وذهب الى حيث تعمل في الملهى وتقصى عن سلوكها وتصرفاتها، وعلم ان اخاها فؤاد لا يفارقها، وينتظرها ليأخذها بعد الغناء، فذهب اليه وعرفه بنفسه، وانتظرا اسمهان سويا، وصحبهما الى منزلهم وتقابل مع والدتها ومع شقيقها الآخر فريد الأطرش،وعرض عليهم عرضا تفاجأ الجميع بسماعه،وهو طلب الزواج من آمال (اسمهان) فقد وقع في حبها،ورغم ان زواجها سوف يؤثر من حيث الدخل على عائلتها، الا انهم في النهاية وافقوا، وانتقلت (اسمهان أو آمال) الى السويداء، زوجة لأبن عمها (الامير حسن الأطرش) وكان ذلك عام 1933 وهناك انجبت صبي لم يعش سوى سبعة شهور، وفتاة لم تعش سوى ثمانية شهور، واخيرا انجبت (كاميليا) وشبت الفتاة وتزوجت من السيد (رياض جنبلاط). عاشت كاميليا مع جدتها الاميره علياء في القاهرة بناء على طلب الجده بالقيام بتربيتها .

تروي (الدكتوره رتيبه الحفني) عن اسمهان انها قالت (كان الامير حسن الزوج المحب بكل معنى الكلمه وكان عصريا في تفكيره وتصرفاته ،الا انني تعودت على حياة مجتمع القاهره ..حياة الأضواء والمرح والسهر، وقد ضاقت اسمهان بحياتها في السويداء ،حتى انها حاولت الانتحار، ولذلك استجاب زوجها لطلبها الطلاق حين حضرت الى القاهرة لزيارة والدتها، ورفضت العوده معه. وعادت اسمهان لحياتها الاولى الغناء والسهر. قدم لها القصبجي ثلاث اغاني تعتبر من روائعه وهي (ليت للبراق عينا فترى، ومنولوج ياطيور،و أسقنيها بأبي أنت وأمي). وتعدد الملحنون وتعددت الألحان وانتشر صوت اسمهان واصبح لها جمهور، وغنت في بعض الافلام اولا دون صوره اي صوت فقط لمؤديه تظهرعلى الشاشة مثل فيلم (ليلي بنت الصحراء) وقد غنت في الفيلم (ليت للبراق عينا) وهو بطولة بهيجه حافظ 1937 كما غنت في فيلم (يوم سعيد) 1940 اغنية (محلاها عيشة الفلاح)، وشاركت عبدالوهاب في غناء (مجنون ليلي). ثم قام المنتج جبرائيل تلحمي بانتاج فيلم انتصار الشباب 1939 بطولة اسمهان وفريد الاطرش، وقد نجح الفيلم وسجل اقبالا ملحوظا، وفي اثناء تصوير الفيلم نشأت قصة حب بين اسمهان ومخرج الفيلم احمد بدرخان، وتم زواجهما رغم اعتراض الأسره ولم يستمر هذا الزواج سوى شهر ونصف لتعارض العادات واسلوب المعايشة في الحياة، والاختلاف البين بين الشخصيتين فتعددت الخلافات وانتهى الأمر بالأنفصال. ثم ظهرت في الأفق مجالات جديده في حياة هذه المطربه ،التي رغم سنوات عمرها القصيره الا انها متنوعه وحافله بالأحداث والوقائع .كانت لها صدبقه بين الأسر المصريه الارستقراطيه التي تعرفت عليها اسمها (أمينه البارودي). عرضت عليها رغبة ضابط بريطاني ان تتوسط لدي زوجها السابق الأمير (حسن الأطرش) ان ييسر دخول البريطانيين لسوريا وبذلك يحميها من الفرنسيين والألمان في مقابل اعلان استقلال سوريا ،وقبلت بالمهمه، وتجددت العلاقات مع الزوج السابق ،وكان من شأن ذلك أن عادت اسمهان للحياة الزوجيه مع الأمير العاشق ووالد ابنتها (كاميليا). توالت الاحداث، ونكص البريطانيون بوعدهم من جانب وتعثرت كذلك من جديد الحياة الزوجيه بين اسمهان وزوجها الأمير، وحاولت اسمهان الانتحار، مما استفز زوجها وقال لها يائسا مادمت تفضلين الموت على استمرارك في زواجك منى فلابد من الانفصال وهكذا تم الطلاق مرة ثانيه وعادت اسمهان الى فنها من جديد .

اسمهان .. قصة قصيره ومثيرة

كانت اسمهان تشعر ان نهايتها تقترب، وانها لن تعمر طويلا، فقد كانت لها رئه ضعيفه، وصحتها العامه لا تحتمل اقبالها الشره على الحياة بكل مافيها من وهج واضواء وبريق، تتلازم معه عادات التدخين والسهر والشراب. وكانت رغم اتساع دائرة المعارف والأصدقاء، لديها عقده من النساء، ويقول صديقها المقرب (محمد التابعي). كانت اسمهان تشعر بعراقة نسبها، وأصالة عائلتها ومكانتها ،ومن ثم كانت تستهجن معاملة سيدات الأسرالأرستقراطيه لها باعتبارها مجرد (أرتست) تغنى لتطربهم ويدفعون لها اجرا،بينما هي في حقيقة الامرتفوقهم عراقة وأصولا فهي أميرة بين قومها، لذلك كانت تانف من هذه الأسر، وتتعالى عليهم، كما انها من جانب آخر تصادق أكثر الرجال نفوذا مثل احمد حسانين باشا رئيس الديوان الملكي، ومحمد التابعي وهو الكاتب الأشهر في عصره كما دخل حياتها مؤخرا (احمد سالم) خريج جامعة كمبردج البريطانيه، ويهوي الطيران، وكان أول مذيع في الاذاعه المصريه الرسميه وأول من قال (هنا القاهره) في الأذاعه، ثم كان نجما سينمائيا ومخرجا ومنتجا، وشغل ذات مره منصب مدير استديو مصر،وكان تابعا لشركه فنيه كبيره ولها دارعرض شهيرة وقد تزوجها في لقاء تم بينهما في مدينة (القدس)، وكانت تتطلع من ذلك الزواج للحصول على الجنسية المصريه، وكانت في سنوات سبقت على وشك الحصول عليها لولا مغادرتها مصر بعد زواجها من الامير الاطرش، وكان احمد سالم شديد الغيرة عليها وقد اطلق عليها الرصاص ذات مره واستنجدت بالشرطه، وفرت هاربه ولكنه اصيب برصاص الشرطه بطلقه في صدره ونقل الى المستشفى وتمت نجاته.

اقتراب النهاية

كانت اسمهان تتمتع بصوت ساحر، يسكن الوجدان وللدلالة على ذلك انه مازال يعيش معنا حتى الآن، وقد اقبلت عليها شركات الانتاج، وحررت عقودا لثلاثاة افلام جديده، تتقاضى اجرا عن الفيلم الواحد ثلاث عشرة الف جنيه ،وهو رقم بمقاييس تلك الأيام بالغ الضخامه، وكان اول تلك الأفلام (غرام وانتقام) بطولتها مع يوسف وهبي وأنور وجدي، وقبل نهاية الفيلم كان حدث الغرق في ترعة الساحل قرب مدينة (رأس البر) 1944 مع صديقتها (ماري قلاده) حيث انقلبت السيارة التي تقلهما في تلك الترعه ،ونجا السائق بفتح باب السياره بينما لم يتيسر لأي منهما ذلك. تناثرت اشاعات كثيرة حول هذا الحادث، وقيل ان احد اجهزة المخابرات التي تعاونت معها هي من دبر ذلك الحادث، وقيل ان المطربه أم كلثوم هي الجاني، وذلك للمنافسة الشديده بينهما، ولكنها في النهاية كانت مجرد اشاعات، لم تستطع تلك العقود من الزمن أن تثبت ذلك او تقدم قرينة واحده على انه حادث مدبر. رحلت اسمهان عن عمر لا يتجاوز الثاني والثلاثين من عدد السنوات . رحلت الفنانه التي ولدت في باخره اثناء عودة عائلتها من استانبول الى سوريا اي انها ولدت عام 1912 في البحر، وغادرت الحياه غرقا عام 1944 في البحر. وبمعنى آخر كانت موجه هادرة متوهجه تتفجر حيوية وصخبا ثم مالبثت ان هدأت واستكانت قبل ان تذوب وتتبخر، وتترك لنا تراثا جميلا مازال يسكننا ويتركنا لأصناف من الطرب ولألوان من الشجن .

الأطفال في مهب التّواصل الاجماعيّ

أولادكم ليسوا لكم... أولادكم للذكاء الاصطناعي!

رنيم ضاهر :بيروت

يَعتبر أستاذ التربية على المواطنية والإحصاء في الجامعة اللبنانية، الدكتور علي خليفة أن هناك أوهاماً متعلقة بالعلاقة بين التّكنولوجيا والتّربية، فهو يؤكد ومن خلال بعض الدّراسات الموثوقة أن التّعليم عن بعد فشل في تحقيق أهدافه، سواء بواسطة الذكاء الاصطناعي أو أدواته الإلكترونية المصاحبة.

إذ لم تستطع هذه العملية،الحلول مكان التعليم الحضوري أو المدرسة، وقد أدّى هذا النوع من التعليم إلى ما يُسمى ب "الفاقد التّعلمي"، والمقصود بهذا المصطلح النقص في المفاهيم التي يصعب تعويضها مع الوقت.

إن هذه الفجوة التي خلقها التعليم عن بعد بسبب الاعتماد الكامل على التّكنولوجيا، راكم الفراغ في عالم الطلاب، وزاد من الهوة بين الأطفال، وراكم المشاكل لدى ذوي الصعوبات منهم.

يبدو أن هذه التجربة الصعبة أكدت بالملموس أهمية دور المدرسة بكيانها التقليديّ في إعداد تلميذ قادر على اكتساب مختلف المهارات المطلوبة ليصبح كائناً اجتماعياً وغير منعزل، وذلك من خلال الوسائل التّعلمية المعتمدة، دون إغفال دور التكنولوجيا ومساهمتها الفعّالة في برامج الإعداد والمناهج، ولكن دون أن تكون بديلاً عنها.

يُضيف خليفة بأن مفهوم «المتعلم الرقمي»، خاصة لدى الفئات العمرية الصّغيرة، ممن يُتابعون التعليم عن بعد، فهم وبحسب الأبحاث أكثر عرضة لافتقاد المهارات الحسّية والحركية والاجتماعية، وهذا النقص لا تعوضه سوى البرامج المعروفة مسبقاً.

لذلك فإن الوهم الذي يقول أن الحاضر والمستقبل يعتمد بشكل أساسي على التّعلم الرقميّ أثبت عدم جدواه،والدليل وجود ظواهر متطرفة مثل الإدمان الرقميّ، نتيجة تجاوز المتعلم الساعات المطلوبة أمام الشاشة، والاستغناء عن الورق بالكامل لصالح الأدوات الإلكترونية .

يختم خليفة بأنه من الصعب حسم الأمور ، فالتكنولوجيا هي عنصر مهم وأساسي في عملية التعليم، وهي متممة ومكملة لها ، لكنّها لا تلغي الوسائل الدّراسية المعتمدة في التربية، لذلك يجب الاستفادة من إيجابياتها الكثيرة، شرط أن لا تكون الأساس والحقيقة الوحيدة، لأن عالم الكتب والتفاعل في النشاطات والرحلات التثقيفية والحوارات وغيرها، لها دورها الفعّال في بناء جيل ناضج على كافة المستويات، وقادر على الانخراط في المجتمع وتقديم مساهمات وإنجازات واقعية و يُحتذى بها .

والسؤال الذي يطرح نفسه إلى ما لا نهاية: هل التربية لها معايير محددة ونهائية، أم أن نظرياتها الكثيرة تخضع لميزان الزمن والبيئة الاجتماعية والظروف المحيطة بالأجيال القادمة؟

لا شك أن العالم لم يعد كالسابق، والمقصود بذلك أن الإنسانية في سباق مع نفسها، ومع التغييرات المستجدة التي بدّلت الأرواح والنفوس، وجعلت الناس يركبون قطار السرعة للوصول إلى أهدافهم.

وربما يعكس هذا التطور الهائل سواء على مستوى التّكنولوجيا، التّواصل الاجتماعي، أو الأفكار المعلبة، مدى عجز البشر عن استعادة أنفاسهم الضائعة بين عالمين: الأول واقعيّ والثّاني افتراضيّ.

فماذا لو تعلق الأمر بأطفال بعمر الورود، لا يميّزون الصواب من الخطأ، وماذا لو أن العالم الافتراضيّ وخدعه الوهمية أصبحا الحقيقة الوحيدة والمطلقة في محيط قائم على أصدقاء افتراضيين وتربية افتراضية وربما مستقبل افتراضيّ؟ فما هو الصواب والخطأ؟ وهل ما نظنه افتراضياً بات في صلب النسيج الاجتماعيّ وحقيقة دامغة وأصيلة؟

وهل التوازن هو الحلّ في السباق بين الأجيال واختلاف الأحلام وسرعة التكنولوجيا التي تخطت قدرة العقل على استيعابها؟

يبدو أن التربية في عصر التكنولوجيا مهمة صعبة،وهذه المسؤولية تقع أولاً وأخيراً على كاهل الأهل،بما معناه محاولة إبعاد الطفل في سنينه الأولى عن مضار هذا العالم، كونه من المهم خلال هذه الفترة الدقيقة التي ينمو فيها الدماغ بسرعة كبيرة أن يكون عالمه غنياً بالألعاب اليدوية والتي تساعده على النمو الفيزيولوجي والحركي، إضافةً إلى إغناء مخيّلته من خلال قراءة القصص والتّعرف على عالم الصور، ومحاولة التكلم معه ليتعرف على اللغة من بابها الواسع، وبالتّالي اكتساب مهارة التّواصل الاجتماعيّ عن قرب.

للدكتور علي خليفة

كذلك من المهم عدم إبعاد الأطفال كلياً عن التكنولوجيا، لما له من فوائد على مستوى التبادل المعرفيّ والحصول على المعلومات الدقيقة في كافة المواضيع المهمة، وعدم خلق فجوة بينه وبين أترابه في العالم الموازي لعالم الواقع، شرط مراقبة المواقع التي يدخل عليها الطفل، لتفادي وقوعه في المشاكل الشائعة، كالتنمر المنتشر بكثرة في هذا العالم والابتزاز الالكترونيّ نتيجة عدم قدرة الطفل المحافظة على خصوصيته وحماية معلوماته الشخصية. ممّا يعرضه للاستغلال والمضايقة والتخويف، كما حصل على تطبيق تيك توك.

يجب أيضاً تخصيص أوقات معينة للألعاب الإلكترونية الجماعية كونها تعزز إمكانيات التقصي والتخطيط والتفكير لاجتياز كل مرحلة، وبالتالي تنمية الخيال وتحقيق الأهداف، واكتساب اللغات. كذلك استخدام الهاتف الذكيّ والإنترنت في ساعات محددة، كي لا يصبح إدماناً، ويمكن التقليل من هذا الخطر من خلال النزهات في الطبيعة مع العائلة، وإغلاق التلفاز أثناء تناول الطعام، والاستعاضة عنه بالألعاب التقليدية والرياضة البدنية.

لقد أثبتت الدّراسات أيضاً أن التسمر لوقت طويل أمام الشاشة يؤدي إلى نوع من الاكتئاب، إضافة إلى التراجع في الأداء الأكاديميّ والسمنة نتيجة استهلاك الأطعمة بشكل أكبر.

يقول جون ديوي «الطفل لا يتعلم إلا إذا كان لديه سؤال أو كان منهمكاً في البحث عن الوسائل التي تساعده للإجابة عن هذا السؤال». فالتربية الصحيحة كما يراها عالم الاجتماع الشهير، تقوم على أساس الاحتكاك المباشر بين الفرد ومواجهة المشكلات لإيجاد الحلول المناسبة.

و يقول كلا باريد: «يجب أن يحل النظام المنبعث من الداخل محل النظام المفروض من الخارج».

من هنا فإن عملية التعليم يجب أن تترك الطفل أمام خيارات طرح الاسئلة بحرية والبحث عن إجابات سواء عند أهله او في بيئة الأصدقاء أو عبر وسائل التواصل او في المدرسة، أو كما تصوّرها الرسوم المتحركة.

فالحرية تحدّد خياراته ومستقبله القادمين، وكذلك مستقبل المجتمع والوطن ككل. هكذا نترك له حريّة التّواصل مع الطبيعة ومكونات المجتمع، انطلاقاً من ذاته وإرادته في التغيير والانصهار، دون أن يصبح أداة أو ضحية للآخر.

«الناس يصرون على رؤيتي على صورة تخالف تماما ما أنا عليه وإنهم لن يروا أبداً في مكاني سوى الشخص الذي صاغوه لأنفسهم وشكلوه على هواهم ليكرهوه كما يشاءون ، وإذن فإنني أكون مخطئا لو أنني تأثرت من الطريقة التي يروني بها إذ لا يجب أن أعيرها أي اهتمام حقيقي لأنني لست أنا من يرونه على هذه الصورة»!

هذه المقولة لصاحب العقد الاجتماعي جان جاك روسو، ويبدو أن إدراجها في النهاية ليس اقحاماً بل وضع الإصبع على الجرح، إذ أن الطفل " إميل" يبرز فلسفة روسو الخاصة في التربية، وهي تقوم على تثقيف العواطف قبل الكتب، وتكييف التعليم حسب مراحل الطفولة والتركيز على التطور البدني خلال السنوات الأولى، أمّا بالنسبة للتعليم الديني والأخلاقي فيترك لمرحلة المراهقة.

وكان روسو يعتبر أن الهدف الأساسي للتعليم يكمن عبر تحقيق نمو طبيعي للفرد، ممّا يؤدي إلى حياة متوازنة ومتناغمة، ممتعة و مفيدة وطبيعية . لذلك يجب تركه ينمو في الطبيعة ليكتسب منها ومن فطرته الأولى، كي لا يسبب له المجتمع اضطرابات نفسية فيما بعد .

يبدو أن الإنسان جنّد في المجتمع لخدمة الآخر عبر ذاته المتعبة من الحضارة والضجيج والحروب و كبت مشاعر الغضب والحقد، ووضع أقنعة مستمرة ومتتالية، وربما لذلك نجد الناس المرهقين من العمل والتّواصل، يعودون إلى الطبيعة للاستشفاء وإلى الطرق الروحية التقليدية نتيجة الضغوط والواجبات الثقيلة الملقاة على عاتقهم عبر سنوات لا تنتهي. فكيف بأطفال مجبرين على اتباع برامج صعبة ومعقدة، وكما يؤكد علم النفس فإن قدرات الناس مختلفة، لذلك فإن عملية التعليم تبدو مرهقة.

بالنسبة لذوي الصعوبات والإعاقات. كون المدرسة تثقل كاهل المتعلم بالواجبات، دون الاكتراث بنوع ذكاء الطفل.

لقد كان الطفل سابقاً، يعيش في كنف العائلة، ورمي الكرة في الشّوارع ولعب الغميضة والقفز على الحبل والنزهات المدرسية، حيث كان العلم يعتمد على الخيال والإبداع، رغم التلقين والأساليب الساذجة في طرح المواضيع العلمية والبحثية.

أمّا اليوم فإن التعليم في عصر التكنولوجيا يفتقد إلى الحركة والحقيقة والإبداع بمعناه الاحترافيّ والفلسفيّ، ويبدو أن المسألة شائكة وتزداد تعقيداً وسط عالم يتجه نحو مزيد من تآليه التافهين، وأصحاب المحتوى المتدني. ويبدو أن المتعلم صار ضحية السائد وضحية الفساد الاجتماعيّ.

من هنا فإن من ينجب طفلاً للحياة في هذا العصر عليه أن يدرك "أن ابنه ليس له" كما قال جبران خليل جبران، بل ابن الذكاء الاصطناعيّ الذي لا يرحم كبيراً أو صغيراً، فكيف ننجو من براثنه السّامة وألغامه العنقودية؟ ■

رحيل الرئيس سليم الحص

■ رحل سليم الحص وهو واحد من الكبار في التاريخ الوطنى اللبناني .كان دوره في الحركة الوطنيه بارزغا، وكانت كلماته في الأزمات العربيه عموما واللبنانيه خصوصا فارقه وحاسمه وناجزه وهو رغم انتماءه الحتمى لقواعد العمل السياسي واصول الدبلوماسيه، الا ان تميزه الأول انه كان من حكماء السياسه في موازين حركة الصراع في تاريخ العرب، وتاريخ لبنان.

ولبنان رغم صغر مساحته، وقلة عدد مواطنيه نسبيا ،الان مكانته في الحركة الوطنيه والقوميه ظلت زاخرة بألوان شتى من المواقف والمعارك، ولذلك فان حكمة قادته كانت على الدوام سراجا منيرا. قال الرئيس ميقاتي عن الرئيس الراحل في بيان رسمي، رحل دولة الرئيس سليم الحص في أصعب وأدق مرحلة يحتاج فيها لبنان الى ضميره وحسه الوطني والعروبي والى حكمته ورصانته وحسن ادارته للشأن العام. الرثاء بأحر الكلمات لأهله وصحبه ومواطنيه ولكل شرفاء العالم.

السلطانه... يسلط الضوء على أصالة الهوية الفلسطينية

■ فيلم السلطانه فيلم اردني جديد يقوم بطرح مفهوم الهويه ومعناها،كما يقوم في نفس الوقت بمناقشة كل الدعاوى المسمومه التي طرحتها قوى الاستعمار وسار على نهجها البعض ممن يجهلون تاريخ الحركة الاستعماريه والاستيطانيه التي تزعم بيع الفلسطينين لأرضهم. الفيلم تنويري وتثقيفي في قالب فني .

عرض الفيلم في افتتاح مهرجان العوده الفلسطيني في دورته الثامنه.جاء عنوان (السلطانه) اشاره إلى اسم البطلة التي تُمثل العمود الفقري للأسرة الفلسطينية، وفق رمزية الشخصية التي جعلها المخرج هيثم عبد الله مُتحدثاً رسمياً باسم الشعب الفلسطيني في دفاعها عن الأرض، ومجابهتها للابن الأكبر الطامع في الثراء على حساب التاريخ والجغرافيا،كانت هذه النقطة الجوهرية المحورية نواة للصراع الدرامي في الفيلم المهم، حيث مثلت الأحداث في مُجملها صورة بانورامية، تم بموجبها إسقاط الحالة الفنية الإبداعية على الواقع السياسي الفلسطيني والعربي، فالشقاق الحادث بين أفراد الأسرة الواحدة المكونة من الأب والأم والأبناء والأحفاد هو بذاته الشقاق الذي يجري على الدوام بين الاشقاء العرب،وبفرق الكلمه في مواجهة الأحداث الداميه والمروعه التي يروح ضحيتها نضال الشعوب.

رحيل القيادي الفلسطيني البارز فاروق قدومي

■ نعى الرئيس الفلسطيني محمود عباس في بيان نشرته وكالة الانباء الفلسطينيه فاروق قدومي المعروف باسم (ابو اللطف) وهو احد القادة التاريخيين المؤسسين لحركة (فتح) والثورة الفلسطينية المعاصرة،التي تفقد بغيابه واحداً من رجالاتها المخلصين المناضلين الأوفياء الذين قدموا الكثير لخدمة فلسطين وقضيتها وشعبها. وُلد (أبو اللطف) في قرية جين صافوط في محافظة قلقيلية عام 1931.

وهي نفس المحافظة التي ولد بها الشهيدان خليل الوزير وصلاح خلف، وكان أحد كُتّاب مجلتها (فلسطينا)، وعضو لجنتها المركزية منذ عام 1965، وممثلها في القاهرة، ومسؤول علاقاتها الخارجية، وشغل أمين سر اللجنة المركزية لحركة (فتح). أصبح فاروق القدومي عضوًا في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية عام 1969، وعضوًا في المجلس الوطني، ورئيسًا للدائرة السياسية لمنظمة التحرير 1973، ومسؤول دائرة الشؤون الخارجية لمنظمة التحرير 1989، وقد ساهم في تطوير علاقات المنظمة بالدول العربية والاتحاد السوفياتي وغيرها من دول العالم.

في تركيا مقهى للنساء فقط

■ في تركيا ظاهره حققت نجاحا.اقامت شقيقتان نازلي شيمشك وشقيقتها آرزو بافتتاح مقهي نسائيا حصريا في منطقة (برهانية) السياحيه بولاية (باليكسير) ليصبح مكانا مفضلا وملاذا جديدا للسيدات الباحثات عن مكان للسياحه وللتواصل الاجتماعي في نفس الوقت وقد لاقى المقهى رواجا واقبالا منذ افتتاحه حيث يوفر مقرا يتميز بالسكون. ويذكر ان الشقيقتين قد قررتا الانتقال من مدينة استانبول الى الباليكسير واختارتا هذا الموقع المتميز بالقرب من الشاطئ بمنطقة حي (للمعلمين) لأنشاء هذا المقهي الفريد من نوعه.

النتائج النهائية لمدرسة ايلنج العربية

نتائج امتحان اللغة العربيه GCSE ـ 24

■ اعلنت مؤخرا مدرسة ايلنج العربيه نتائج امتحانات اللغة العربيه، وهي كما نري نتائج تضعها (كما العادة) في مقدمة المدارس تفوقا وانحيازا لمفهوم الرياده استنادا للأنجاز في النتائج النهائيه. وكانت النتائج على النحو التالي :

صفا السامرائي	A**	آدم نظمي	A*
مروة السامرائي	A**	صوفيا فتيحي	A
امين الشيخ	A*	تمارة جساني	A
يوسف ابي حمادي	A*	زكريا لفكير	B
زينه النجار	A*		

صورة تجمع مديرة المدرسه الاستاذه ايمان الموسوي وعلى يسارها الاستاذة المدرسة آلاء نجم مع مجموعة من الطلاب والطالبات

المطربه رحاب عمر تغنى لأم كلثوم

فاروق القدومي

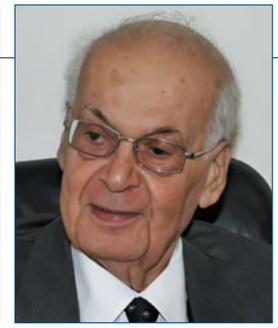

الرئيس الراحل سليم الحص

واحة الحصاد

اختبر معلوماتك

اختر المرادف الصحيح

١ـ «هذا ما جناه ابي علي وما جنيت على احد»
هذا القول هو للشاعر الفيلسوف:
المتنبي؟ ـ ام لابي العلاء المعري ام لبشار بن برد؟

٢ـ من وضع علم «الجبر»؟
الخليل بن احمد ـ سيبويه ـ ام جابر بن حيان؟

٣ـ من ألف كتاب «الاغاني»؟
ابو الفرج الاصفهاني ـ ام بديع الزمان الهمذاني؟

٤ـ «تشارلز داروين» واضع نظرية التطور والارتقاء.
ما جنسيته؟
انكليزي ـ ايطالي ـ ام الماني؟

٥ـ من اخترع التلغراف اللاسلكي؟
جيمس واط ـ ماركوني ـ ام امبير؟

٦ـ «ابوظبي ـ دبي ـ قطر ـ رأس الخيمة».
ما الاسم غير المتجانس بين هذه الاسماء؟

بريشة: حسين حمّود

أقوال

■ عندما يكون الناس متفقين معي، أشعر بأنني مُخطيء..... **اوسكار وايلد**

■ كثير من الزيجات بائسة وتعيسة، لأن الزوج كان يتناول العشاء مع زوجته بدلا من سكرتيرته ..... **وينستون تشرشل**

■ الثرثار هو ذلك الشخص الذي يتكلم عندما ترغب في أن يصغي اليك..... **مارك توين**

■ اني اعجب من الذي يغسل وجهه مرتين كل يوم، ولا يجرب غسل قلبه ولو مرة في السنة.... **ميخائيل نعيمة**

■ ان الاداة التي تنتج العلك هي نفسها التي تنتج الرأي العام في الولايات المتحدة الاميركية
جون كينيث غالبريث

■ اصعب الأمور ان يعرف الانسان نفسه، واسهلها ان يعط غيره..... **ارسطو طاليس**

■ المحطات الزمنية ثلاث: أمس دابر، وحاضر مأمول، وغد مرتقب..... **احمد أمين**

■ أنني أوجس خيفة من ثلاث جرائد، اكثر مما أوجس ذلك من مائة الف مقاتل ..... **نابليون**

نوادر

حلم

■ دخل «ابو دلامة» على الخليفة المنصور ذات يوم فأنشده:
إني رأيتك في المنام
وأنت تعطيني خياره
مملوءة دراهماً
وعليك تأويل العبارة
فقال المنصور: «امضي فأتتني بخيارة املؤها لك دراهم ودنانير».
فغاب قليلا، وعاد يحمل قرعة كبيرة، فقال المنصور:
ـ ما هذا؟
ـ عفوك مولاي.. لقد حلمت بالقرعة، ولكني نسيت، فلما رأيتها في السوق تذكرتها.
فضحك المنصور واجازه.

كيف أفعل؟

■ المؤلف: «لقد اكتشفت لأول مرة بعد عشر سنوات من التأليف انني لا اصلح للتأليف اطلاقا!».
الصديق: «وهل تنوي اعتزال التأليف؟».
المؤلف: «كيف افعل، وقد صرت شهيرا كما ترى؟!»

كذبنا... فكذب

■ انشد بشار بن برد قصيدة في مدح المهدي، فلم يعطه شيئا.
فقيل له: انه لم يستعذب شعرك يا ابا معاذ.
فقال بشار: «والله لقد قلت فيه قصيدة لو اثنى بها احد على الدهر، ما خشي صروفه. ولكننا كذبنا فيه القول فكذّب هو املنا فيه!».

خير الازواج

■ سُئلت الكاتبة الروائية الشهيرة «أغاثا كريستي»:
من هو خير الازواج؟»
فأجابت: «ان العالم الاثري هو خير زوج تحظى به امرأة، لانها كلما تقدمت هي في السن، كلما ازداد هو شغفاً واهتماماً بها..!»

Bliss

PHARMACY AND CLINIC

Prescribing Pharmacist	كتابة وصفات طبية
Private Prescription	وصفات طبية خاصة
Clinical Nutritionist	أخصائي تغذية
IV Nutrition Drip	التغذية الوريدية
Flu and Travel Vaccination	لقاح ضد الانفلونزا ولقاحات للسفر
Laser Hair Removal	ازالة الشعر بالليزر
Beauty Therapy	التجميل والمساج

HEALTH • BEAUTY • LIFE

We stock a large range of Premium vitamins, supplements and natural products as well as many high-end skincare brands

تتوفر لدينا مجموعة كبيرة من الفيتامينات والمكملات الغذايية والمنتجات الطبيعية. كما لدينا العديد من المنتجات الراقية للعناية بالبشرة

Open 9am to 10pm (Monday to Saturday)

Open 12pm to 9pm to Sundays

107-109 Gloucester Road, London, SW7 4SS

0207 373 4445

www.blisslife.co.uk

gloucesterroad@blisslife.co.uk

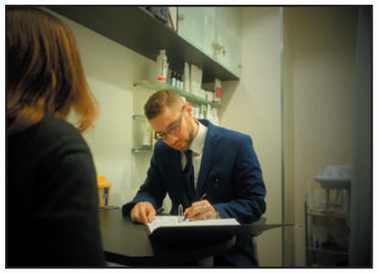

الكاتب المخادع.. أم الناقد المخدوع؟

كتبها
أمين الغفاري

عزيزي القارئ... لأيهما تنحاز
الكاتب المخادع.. أم الناقد المخدوع؟

في حياتنا الاعلاميه والصحفيه كثير من الاحداث،بعضها يتعلق بحركة العمل، ومعارك السبق الصحفي والآخر يتطرق الى العلاقات بين زملاء المهنه،ورفاق الطريق. وما يمكن اختراقها من مقالب ومواقف حرجه وموضوعنا اليوم يتعرض للنوع الأخير من العلاقات، والدخول الى ميدان المعارك الصحفيه أو على الأصح المقالب الصحفيه بين ابناء المهنه الواحده . حدث ان اتفق الكاتب الصحفي الراحل (احمد رجب) وكان كاتبا مرموقا مع رئيس تحرير مجلة الكواكب (سعدالدين توفيق) على كتابة مسرحيه على نمط مسرح (اللامعقول) أو (العبث) الذي دخل الى بلادنا في الستينات من القرن الماضي وقد عرج الي تلك المدرسة الكاتب الكبير توفيق الحكيم في مسرحية اسمها (ياطالع الشجره) والمهم انهما اتفقا ان ينسبوها الى الكاتب العالمي (فريدريك دروينمات)، ثم عرضها على مجموعة من النقاد المصريين ليرى آراءهم، وهل سيكتشفون امر هذه الفبركه أم انهم سينساقون الى تمجيدها باعتبار ان كاتبها هو ذاك الكاتب الشهير.

وبالفعل قام احمد رجب بكتابة مسرحيه بعنوان (الهواء الأسود) على انها من كتابات تلك المدرسة الجديده .قام رئيس التحرير بتقديمها الى اربعة نقاد مشهورين) رجاء النقاش، وعبدالفتاح البارودي وعبدالقادر القط وايضا المخرج المسرحي اللامع (سعد اردش). قرأ النقاد الأربعه المسرحيه، واشادوا بها في عرض مسهب، يكشف مواطن الجمال فيها، وتم النشر تحت عنوان (فضيحة الموسم.. الهواء الأسود.. مسرحية لم يكتبها دروينمات. (وكتب احمد رجب مؤلف المسرحيه قائلا (لقد كتبت تلك المسرحيه سخرية من تلك المدرسة الجديده (اللا معقول) وتم نشرها من قبيل التسلية وهي ليست سوى كلام فارغ ، ولا أعرف لماذا كنت أفطس على نفسى من الضحك كلما كتبت عبارة حوار لا معنى له، أو كلما خط قلمى جملة منطلقة على السجية بلا أى تفكير ولا تدبير».

ومع ذلك كتب عنها النقاد باشادة ،وذلك لا يعني سوى اننا نحتفي بالأجنبي لكونه خواجه ،أو كما قال احسان عبدالقدوس (كل خواجه يستحق الاهتمام، وكل عربي يستحق الاتهام) .بالطبع رد النقاد وقالوا انهم لم يصفوا العمل على الاطلاق بانه عمل رائع او فريد، وانما قدموا اجتهادا فيما قراوه نسبة لكاتب شهير.

بعد ذلك رد الروائي يوسف ادريس، وقال ان الناقد حين يقرأ عملا لكاتب شهير،فان الكاتب بتاريخه يكون ماثلا امام الناقد بأعماله وثرائها، ولذلك فان نقده للعمل الماثل امامه لا ينفصل عن الكاتب بكل تراثه ،ثم ان اي عمل يقدم من اي جهة للنظر فيه لابد ان يدعمه حجم كبير من الثقة ، واستنادا لتلك الثقة يجتهد الناقد او اي انسان فيما قدم له في اطار الكم المتعارف عليه من الثقة بين البشر. اانني لو خيرت ان اكون الكاتب المخادع او الناقد المخدوع فسوف اختار بالقطع ان اكون الناقد المخدوع ،ان حياة البشر ان خلت تماما من الحد الأدنى من الثقة، فانها تكون حياة بائسه خاليه من اي نوع من انواع الجمال. ان الثقة يدعمها الصدق، والصدق هو الجمال الحقيقي فى هذه الحياة.

Back cover (Hammamat) 17/7/04 10:16 Page 1

The Scent of Jasmine and Mediterranean Mystique

Welcome to Le Royal Hammamet, just steps from the Marina and seaside adventure. The hotel boasts 266 rooms with private balconies, Satellite TV, Wifi internet, 24-hour room service and all the facilities of a five-star hotel. Moorish architecture, sandy beaches and manicured gardens add to the propertys' charm. Five restaurants and bars offer the best of food and beverage, with both local and international flavours. The property features four swimming pools, two tennis courts, water-sports and a deluxe Spa center. The Cleopatra Convention Centre is the ideal venue for events.

Luxembourg | Luxembourg

Amman | Jordan

Beirut | Lebanon

Sharm El Sheikh | Egypt

El Minzah | Morocco

Villa de France | Morocco

www.leroyal.com